

الأدقوى وكتابه "الطالع السعيد الجامع
أسماء نجباء الصعيد"

الدكتور

سند أحمد عبد الفتاح

جامعة عين شمس، مصر

oboeikan.com

الأدقوى وكتابه "الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد"

أضحت الحاجة ماسة لدراسة الجوانب الفكرية فى التاريخ الإسلامى عامة، والفكر التاريخى خاصة ممثلاً فى المؤرخين ومناهجهم بعيداً عن الدراسات التقليدية الحضارية التى شغلت أذهان الباحثين فى الآونة الأخيرة، وحسبنا فى ذلك مؤرخو العصر المملوكى الذين تناولت أقلام الدارسين بعضهم بوجه عام، معرضة عن أكثرهم رغم عظم مكانتهم فى مجرى الزمن.

وبالرغم من اصطباغ العصر المملوكى بالموسوعات وكثرة التأليف إلا أن عظم نتائجها كان كماً لا كيفاً، غلب عليه الاقتباس والنقل من مؤلفات السابقين، ووصل أحياناً إلى حد السطو على مؤلفات بعينها دون الإشارة إلى أصحابها، وتبعاً لذلك اختفى الإبداع والابتكار، وسادت المحاكاة وتقليد السابقين، جراء تعاظم النظم الأوتوقراطية المتسلطة والحكومات العسكرية مما أفضى إلى التجزئة والفوضى السياسية والفشل الإدارى، ناهيك عن النظام الإقطاعى الذى كانت له نتائج وبيلة بتعريض العالم الإسلامى للكثير من الضائقات والأزمات الاقتصادية جراء فرض النظم العسكرية الحاكمة للكثير من الضرائب والمغارم ومصادرات الأملاك، أضف إلى هذا وذاك تدهور سائر العلوم والفنون والآداب؛ بحيث لم يبق للمعارف الدينية وجود إلا عند بعض الأقليات الشيعية التى كانت محاصرة نتيجة غلواء التعصب المذهبى الذى ساد ذلك العصر¹.

* مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب، جامعة عين شمس.

يتقدم الباحث بخالص الشكر والتقدير إلى أ.د / محمود إسماعيل عبد الرازق أستاذ التاريخ الإسلامى بأداب عين شمس على تفضله بمراجعة البحث وتنقيحه.

1 محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامى، مج9، مخطوط تحت الطباعة، ص 5-7، 8-9.

وحسبنا في هذا المجال أن نعرض أحد مؤرخي العصر المملوكي البحري المشهود لهم بالفضل من أقرانه وهو الأدفوى، مسلطاً الضوء بصفة خاصة على أحد مؤلفاته وهو "الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد"، وتبرز أهميته في تفرد كمصدر وحيد في دراسة إقليم الصعيد وأشهر أعلامه عبر العصور الإسلامية عامة، والعصر المملوكي البحري خاصة، ويزيد المؤلف أهمية أن مؤلفه كان شاهد عيان لأكثر أعلامه مشاركاً إياهم في الحركة الثقافية.

كما تكمن أهمية هذا المؤلف في رؤية صاحبه لقضية هامة استحوذت على عقول مؤرخي ذلك العصر بسقوط معظمهم أسرى لكرامات ومكاشفات الأولياء والشيوخ والتعويل على الرؤى المنامية ودلالات الأحلام في تفسير الأحداث.

ويمكن تقسيم ذلك المبحث إلى عدة محاور أساسية: حيث نتعرض لمولد الأدفوى ونشأته ومكانته الاجتماعية وانتمائه المذهبي، ثم نعول على مؤلفاته حصراً دون الخوض في تفاصيلها، مبرزين مؤلفه محل الدراسة وهو كتاب "الطالع السعيد"، موضحين محتواه في كافة النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية، والمرجعية التاريخية له، وأهميته بالنسبة للاحقين له من المؤرخين. وأخيراً منهجه في كتابة التاريخ ورؤيته في تفسير أحداثه.

أولاً: الأدفوى: المولد والنشأة

هو جعفر بن ثعلب بن جعفر بن علي بن المطهر بن نوفل الأدفوى الشافعي، يكنى بأبي الفضل ويلقب بكمال الدين¹ و" وعد الله "²، وفيما اتفق المؤرخون على أن اسمه جعفر؛ اختلف آخرون³ حول اسم أبيه فنادوا بأنه " تغلب " وليس " ثعلب "، بيد أنه

1 الصفدى، أعيان العصر وأعيان النصر، ج2، تحقيق: علي أبو زيد وآخرون، بيروت 1998، ص 152؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، محمود الطناحي، القاهرة 1992، ص 407؛ الأسنوى، طبقات الشافعية، ج1، تحقيق: عبد الله الجبوري، بغداد 1390هـ، ص 152؛ ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1، حيدر آباد 1348هـ، ص 535.

2 ابن حجر، الدرر، ص 535؛ الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج1، القاهرة 1348هـ، ص 182.

3 الشوكاني، البدر، ج1، ص 182؛ البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج1، استنبول 1951، ص 254؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، بيروت 1992، ص 167، 230؛ علي مبارك، الخطط التوفيقية، ج8، القاهرة (د.ت)، ص 159.

من خلال ترجمته لأقاربه في مؤلفه "الطالع السعيد" وسم كل واحد منهم "بالثعلبي" وهم: إبراهيم بن محمد الثعلبي الأدفوي، وثعلب بن أحمد بن جعفر الأدفوي، وجعفر بن مطهر بن نوفل الثعلبي، وعبد الحق بن الحسن بن محمد بن علي بن مطهر الثعلبي، وعلي ابن مطهر الثعلبي، ومحمد بن الحسين بن ثعلب¹، أضف إلى ذلك أن ترجمته "لثعلب بن أحمد" كانت في باب "الثاء" ولو كان "تغلب" لورد اسمه في باب "التاء"، ناهيك عن أنه خلال أحد تراجمه² ورد اسمه في أحد أبيات الشعر فيقول:

حتى رأينا الملا لفضله والأدب قد دان

إذ هم رعايا العلاء وجعفر بن ثعلب سلطان

وهو ما يزيد الأمر ترجيحاً بكون اسم أبيه "ثعلب" وليس "تغلب"، وقد بدا هذا الخطأ جراء تداول أيدي النساخ على مصنفاته وعدم مراعاة الدقة عند النقل، خاصة أن المسألة تتعلق بنقاط وليس حروفاً.

هذا وظلم الأدفوي نفسه بعدم ترجمته لنفسه بين ثنايا مؤلفاته - أسوة بمن سبقه أو لحقه من المؤرخين الذين قال عنهم السيوطي³ إنه "قل إن ألف أحدهم منهم تاريخاً إلا وذكر ترجمته فيه"، وهو ما فتح باب الخلاف بين المؤرخين حوله؛ ففينا أقر الأدفوي بمحل ولادته في صعيد مصر بادفو (قرية بين أسوان وقوص)⁴؛ لم يحدد تاريخ مولده مما جعل المؤرخين والبيبلوجرافيين وكتاب السير يختلفون حوله، فعلى حين صمت بعضهم عن ذلك تماماً⁵ جعله أحدهم⁶ في سنة 675هـ / 1276م وذهب آخرون⁷ إلى أن ميلاده

1 الأدفوي، الطالع السعيد الجامع أساء نجباء الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسن، مراجعة: طه الحاجري، القاهرة 2001، صفحات 66، 176، 186، 284، 416، 515 على الترتيب.

2 الطالع السعيد، ص 611.

3 حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1998، ص 289.

4 الطالع السعيد، ص 3، 4.

5 المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2 ق3، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة 1958، ص 793؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج10، القاهرة 1949، ص 237؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 480.

6 البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص 254.

7 الصفدي، أعيان، ج2، ص 153؛ الوافي بالوفيات، ج11، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى بيروت 2000، ص 77؛ ابن حجر، الدرر، ج1، ص 535؛ الشوكاني، البدر، ج1، ص 182.

كان بعد سنة 680هـ/ 1281م وحدده البعض الآخر¹ - وهو الأقرب للصواب - أنه ولد في منتصف شعبان سنة 685هـ/ 1286م، يدعمه في ذلك أنه بصدد ترجمته أحد أصدقائه ذكر أنه "صاحبنا ورفيقنا في الاشتغال" وذكر مولده سنة 685هـ²، وهذا على افتراض معاصرة الأعمار السنية لطلاب العلم آنذاك، ناهيك عن ورود هذا الرأي في مصادر معاصرة زمنياً لها أصالتها.

أما بالنسبة لأسرة الأدفوى وأقاربه فقد وجدت متناثرة بين ثانيا مصنفه، حيث ترجم لبعضهم، وبدا واضحاً اعتزازه بأسرته منذ الجدل الأعلى في قوله عن بلدته أدفو: "كان بها بنو نوفل أهل مكارم ورياسة، وجلالة ونفاسة، ومناصب حكومية، وصفات مرضية، ولولا أنهم أهلى لشرحت فضلهم وذكرت نبلهم"³، ويفهم من قوله أنه خاف أن يتهم بالانحياز لأهله إذا أفاض في الحديث عنهم لذا جاء حديثه عن بعضهم مقتضباً لم يتجاوز الأسطر المحدودة وبالكاد يصل لحد الصفحة عن البعض الآخر، فعرض الأدفوى إلى أن له أخاً من أمه⁴، وله أخاً من الرضاعة أحسن إليه كثيراً وتوفي بمسكن الأدفوى بالمدرسة الصالحية بالقاهرة⁵، كما ترجم لكل من الجد الأول لتلك الأسرة⁶، وجدّه لأبيه⁷، وابن عم أبيه⁸، وعمّيه⁹ وابن عمه¹⁰،

1 الأسنوى، طبقات، ص 171؛ ابن الخطيب، الوفيات، ج2، تحقيق: عادل نويهض، بيروت 1978، ص 43؛ الزركلي، الأعلام، ج2، بيروت 1979، ص 122؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج3، بيروت (د.ت)، ص 136؛ أضف إلى ذلك فريق وقف حائراً بين مولده في سنة 685هـ و سنة 675هـ مكتفين بقولهم: "ولد في شعبان سنة 685هـ و قيل سنة 675هـ" ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3، تحقيق: عبد العليم خان، بيروت 1407هـ ص 20؛ الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج3، بيروت (د.ت)، ص 153.

2 الطالع السعيد، ص 129، 130.

3 الطالع السعيد، ص 36.

4 الطالع السعيد، ص 160.

5 الطالع السعيد، ص 105.

6 الطالع السعيد، ص 684.

7 الطالع السعيد، ص 416.

8 الطالع السعيد، ص 239.

9 الطالع السعيد، ص 157، 662.

10 الطالع السعيد، ص 284، 330.

ناهيك عن كثيرين من أهله من لم يحدد درجة قرابتهم له فيسم شخصاً ما بأنه "قربنا" ¹، أو آخر بأن "بيني وبينه قرابة" ².

وعمالا شك فيه أن الأدفوى نشأ في بيت علم ورياسة فجده الأعلى نوفل بن جعفر "كان حاكماً بأدفو وعيذاب لمدة أربعين سنة" ³، كما كان جده لوالده مطهر بن نوفل الثعلبي من أعيان بلده وعدوها ⁴، وبلغت مكانة أحد أقربائه في عهد الملك الكامل الأيوبي أن عينه حاكماً على أدفو وأسنا وأسفون ⁵. أما أبوه فكان محمود السيرة شغوفاً للعلم مصاحباً للعلماء، بل وأحد مصادره في استقاء المعلومات لبناء مؤلفه "الطالع السعيد" ⁶ وتوفي تاركاً إياه صغير السن ⁷، وورث الأدفوى أخلاق أسرته الحسنة فبات رغم كونه يتيماً "ضحك السن دائم البشر، لا يلقاه أحد إلا عاطر النشر، حلو الملق عند الملتقى، يروق من مجادته خلقاً وخلقا، لطيف الذات متوسع النفس في اللذات" ⁸ يجب مداعبة شيوخه ⁹ عازفاً عن ملذات الدنيا، بيد أنه كان حسن المأكل والمشرب ¹⁰، نابذاً للكبر ذو مروءة كبيرة ¹¹، شديد الوفاء لأصحابه حريصاً على سرد حسن صنائعهم معه وإحسانهم له، معبراً عن ذلك في مواضع كثيرة، فهذا "له على إحسان يجب ذكره، وتفضل يوجب القيام بواجب شكره، وصفات تفرض التنويه بقدره، ومن أعجز عن حدها" ¹².

ويبدو أن تمتع الأدفوى بالصفات الأخلاقية العالية قد وجد صدها بين حكام بلدته

1 الطالع السعيد، ص 66، 176، 186، 515، 656.

2 الطالع السعيد، ص 558.

3 الطالع السعيد، ص 684.

4 الطالع السعيد، ص 416.

5 الطالع السعيد، ص 176.

6 الطالع السعيد، ص 684.

7 الطالع السعيد، ص 627.

8 الصفدى، أعيان، ج2، ص 152؛ الوافى، ج1، ص 78.

9 الطالع السعيد، ص 497 فحينما دب الهرم إلى شيخه تاج الدين الدشناوى وبدأ يتكى على عصي داعبه بقوله: "وهذه العصا التي هي لمبتدأ ضعفى خبر، ولقوس ظهري وتر".

10 ابن حجر، الدرر، ج1، 536؛ الشوكاني، البدر، ص 183.

11 الأسنوى، طبقات، ص 170.

12 الطالع السعيد، ص 262.

وشيوخه وأصحابه فكان حاكم أدفو يكرم ضيافته ويحسن إليه كأنه من الأعيان¹، ومنهم من أكرم وفادته بحيث كان ينزل عنده ضيفاً طوال شهور الصيف جميعها بحيث بات كما عبر الأدفوى "منزله كأنه منزلى يراعى خاطرى ويكرمنى هو وأولاده وخدامه وحواشيه"²، وحينما وفد إلى الإسكندرية أكرم وفادته أحد شيوخها معبراً عن ذلك بقوله "ولما قدمت الثغر أضافنى وأهدى إلى وأحسن"³، ومنهم من لزم صحبته سنين عدة في أوقات الدراسة⁴، على أنه كان يختبر صفات أصحابه بنفسه ليتبين المصلح من المفسد⁵، فلم يصاحب إلا ذوى الأخلاق الحسنة⁶ ليكون لهم في وقت الشدائد ناصحاً مناصراً⁷.

بدأ الأدفوى يشق حياته العلمية في بلدته أدفو ولازم حضور الدروس بها سنيناً عديدة، ساعده في ذلك العلاقة الحسنة بين فقهاء بلدته وأسرته فكان لا يأنف من أن يسأل هذا الشيخ أو ذاك عن بعض مسائل الفقه والفرائض⁸، وقدم قوص بناءً على نصيحة من أحد شيوخه فأقام بأحد مدارسها عدة سنوات ودرس الفقه على أكابر شيوخها⁹، وعمل معيداً بالمدرسة العزية بظاهر البلدة¹⁰، ودخل في تنافس علمي مع طلاب عصره بغية التدريس في أحد مدارس قوص¹¹، بيد أن حبه للعلم والاشتغال به رجح كفته ونال إعجاب شيوخه وتقديرهم حتى إن أحدهم زاد نفقته نقداً وعيناً فأمسى كما عبر "تحت الحجر"¹².

هذا وتلمذ الأدفوى على العديد من شيوخ عصره الأجلاء بلغ عددهم حوالى خمسة وعشرين شيخاً، ذكرهم - صراحة - في مؤلفه وفاءً لهم واستعان بهم مراراً كأحد مصادر

1 الطالع السعيد، ص 511.

2 الطالع السعيد، ص 127.

3 الطالع السعيد، ص 360.

4 الطالع السعيد، ص 192، 224.

5 الطالع السعيد، ص 261.

6 الطالع السعيد، ص 323، 328.

7 الطالع السعيد، ص 218، 270.

8 الطالع السعيد، ص 207، 334.

9 الطالع السعيد، صفحات 102 - 103، 192، 350، 423، 728.

10 الطالع السعيد، ص 414.

11 الطالع السعيد، ص 422.

12 الطالع السعيد، ص 728.

المعلومات الرئيسية التي نهل منها في كتابة مصنفاته، ومن هؤلاء الشيوخ: تاج الدين الدشناوي¹، وأحمد بن محمد القرطبي الذي سمع عليه "صحيح مسلم بن الحجاج"²، وإسماعيل بن جعفر بن علي الأدفوي الذي قرأ عليه القرآن الكريم وتعلم علم القراءات على يديه، وإسماعيل بن موسى السفطي القوصي³، وعلي بن محمد بن علي القشيري الذي قرأ عليه شروحات كتاب "التعجيز في مختصر الوجيز"⁴، وعلي بن محمد بن عبد المنعم الدندري⁵، وعلي بن هبة الله الأسنائي⁶، ومحمد بن عثمان الدندري الذي سمع عليه جزء ابن الكومي⁷، ومحمد بن محمد العثماني القنائي⁸ ومتنصر بن الحسن الأدفوي الذي قرأ عليه جزءاً من كتاب "الشفاء"⁹، وهبة الله بن علي بن السديد الأسنائي¹⁰، ويحيى بن عبد الرحيم القوصي الذي تلقى العلم على يديه طوال تسعة سنوات أفاده خلالها إفادة كثيرة بشهادة الأدفوي نفسه¹¹، ويوسف بن محمد السيوطي¹²، ويونس بن عبد المجيد الأرمتي¹³، وشمس الدين محمد الأرمتي الذي قرأ عليه جزءاً من كتاب "التنبيه"¹⁴، كما لم يأنف أن يتلقى العلم من فقيها عصره من النساء اللاتي شاركن بقسط وافر في ازدهار الحركة العلمية آنذاك سواء بالتحديث أو الإسناد بعقد المجالس العلمية في بيوتهن، فسمع سنن الكشي من الشيخة رقية بنت محمد بن علي القشيري¹⁵.

أضف إلى ما سبق مجموعة أخرى التقى بهم الأدفوي وتلمذ على أيديهم ونهل من

1 الطالع السعيد، صفحات: 61، 89، 146-147، 216، 352، 395، 400، 488.

2 الطالع السعيد، صفحات: 61، 109، 112، 390، 536.

3 الطالع السعيد، ص 157، 168.

4 الطالع السعيد، ص 403.

5 الطالع السعيد، ص 414.

6 الطالع السعيد، ص 420.

7 الطالع السعيد، ص 548.

8 الطالع السعيد، ص 627.

9 الطالع السعيد، ص 661.

10 الطالع السعيد، ص 702.

11 الطالع السعيد، ص 709.

12 الطالع السعيد، ص 726.

13 الطالع السعيد، ص 729.

14 الطالع السعيد، ص 728.

15 الطالع السعيد، ص 246، 247.

علومهم بيد أنه التزاماً منه بمنهجه لم يترجم لهم لكونهم ليسوا من إقليمه قوص، وحرصاً منه على الوفاء لهم فقد أفرد لهم تراجم مستقلة في كتابه "البدر السافر" ¹، عارضاً لأسماؤهم فقط في "الطالع السعيد" دون الخوض في تفاصيل سيرهم الذاتية باعتبارهم من المكونات الرئيسية لمادته العلمية في مؤلفه بمشاركتهم في الأحداث التي تمت بصلته لتراجمه عن إقليم قوص مثل: أثير الدين أبو حيان الغرناطي ²، ومحمد بن أحمد القهاج ³، وبدر الدين محمد بن جماعة ⁴، وعز القضاة عبد الواحد بن المنير ⁵، وعلاء الدين علي القانوني ⁶، وشمس الدين محمد بن يوسف الجزري ⁷، وتقي الدين بن أحمد الصائغ ⁸، وعلاء الدين علي بن خطاب الباجي ⁹، وعبد الرحمن بن يوسف الأسفوني ¹⁰، وذكرت بعض المصادر ¹¹ أنه لازم ابن دقيق العيد بيد أنه من خلال ترجمته المستفاضة له لم يشر إلى ذلك من قريب أو بعيد.

وتبعاً لذلك الجمع الكبير من شيوخ الأدقوى كان بديهاً أن تتعدد وسائل المعرفة لديه فأسمى متمكناً من معارف عصره وعلومه لذا نعت بـ "الإمام العلامة الأديب البارع ذو الفنون" ¹²، ولما لا وقد نهل من علوم متعددة مثل: الفقه والتفسير والحديث وعلوم اللغة العربية وآدابها حتى صار أديباً شاعراً في المقام الأول، "يعرف النحو، وتشرق شمس فيه في يوم صحو" ¹³، شعره "أخضر وأحسن وأفصح وأمتن" ¹⁴، كما كان مؤرخاً حصيفاً.

1 ابن قاضي شهبه، طبقات، ج3، ص 20.

2 الصفدي، أعيان، ج2، ص 153؛ الوافي، ج1، ص 78؛ ابن حجر، الدرر، ج1، ص 535.

3 الطالع السعيد، ص 81.

4 الطالع السعيد، ص 61، 71؛ ابن قاضي شهبه، طبقات، ج3، ص 20.

5 الطالع السعيد، ص 269.

6 الطالع السعيد، ص 324، 572، 576؛ ابن قاضي شهبه، طبقات، ج3، ص 20.

7 الطالع السعيد، ص 544، 725؛ ابن قاضي شهبه، طبقات، ج3، ص 20.

8 الطالع السعيد، ص 554.

9 الطالع السعيد، ص 629، 581.

10 الطالع السعيد، ص 75، 76، 361.

11 ابن حجر، الدرر، ج1، ص 535؛ الشوكاني، البدر، ج1، ص 182.

12 ابن قاضي شهبه، طبقات، ج3، ص 20.

13 الصفدي، أعيان، ج2، ص 152.

14 الصفدي، أعيان، ج4، ص 271.

له معرفة تامة بالتواريخ والأخبار " حظه من التاريخ موفر، وجيشه إذا غزا فيه مظفر " ¹، وقد واثته تلك الخبرة التاريخية جراء ملازمته ومصاحبته أعلام مؤرخى عصره مثل: شيخه شمس الدين الجزرى وصاحبيه النويرى والصفدى ² ناهيك عن شغفه وخبرته بالموسيقى ³، وحرصه على مجالسة من له حظ وافر منها ⁴، خاصة وأن أهل قوص كان لهم ميل إلى السماع والأغاني حيث عاش في هذا الإقليم الكثير من المغنين والمغنيات والملحنين الذين لحنوا الشعر بالغناء ⁵، وهكذا تنوعت ثقافة الأدفوى لتنوع شيوخه فمنهم المحدث والفقيه والأديب والمؤرخ ونال الإجازة من أكثرهم، فأجازته كل من الشيخ الدشناوى ⁶، والشيخ أحمد بن محمد القرطبى ⁷، والشيخة رقية بنت محمد القشبرى ⁸، والشيخ يونس بن عبد المجيد الأرمتى ⁹.

كذا لعبت الكتب دورها في ثقافة الأدفوى حيث جعلها من الأشياء التى تعبر عن مذهب صاحبها فمن أراد أن يعرف المذهب الفكرى لشخص ما "أو معرفة حاله ومعتقده ينظر في كتابه" ¹⁰، فبصدد مصنفات أحد الشيوخ السابقين عبر عنها بقوله "رأيت مكاتيب قديمة شاهدة بعلمه وفضله" ¹¹، خاصة وأنه شب فوجد بحوزته مؤلفات علامة عصره الشيخ ابن دقيق العيد التى أفادته أياً إفادة مقرأ ذلك بقوله "انتفعت بالنظر في كتبه في الصغر واستفدت منها في الكبر" ¹²، ناهيك عن اطلاعه على كثير من مؤلفات سابقيه ومعاصريه في شتى المجالات ساعده على ذلك وقوفه على خزائن الكتب لاسيما في مدارس قوص وجوامعها مثل: خزانة الكتب بالمدرسة النجبية

1 الصفدى، أعيان، ج2، ص 152؛ الوافى، ج1، ص 78.

2 الطالع السعيد، ص 97.

3 الصفدى، أعيان، ص 153؛ الوافى، ج1، ص 78؛ ابن حجر، الدرر، ج1، ص 535؛ الشوكانى، البدر، ج1، ص 182.

4 الطالع السعيد، ص 216.

5 الطالع السعيد، صفحات 190، 324، 583 - 584.

6 الطالع السعيد، صفحات: 89، 148، 488.

7 الطالع السعيد، ص 112.

8 الطالع السعيد، ص 247.

9 الطالع السعيد، ص 732.

10 الطالع السعيد، ص 324.

11 الطالع السعيد، ص 534.

12 الطالع السعيد، ص 599.

والمدرسة السابقة¹ أضف إلى ذلك ملازمته أسواق الكتب والوراقة بالقاهرة مما أتاح له الالتقاء بالكثير من المؤرخين والأدباء مما صقل موهبته الأدبية والتاريخية².

وبجانب كون الأدفوى أديباً مؤرخاً كان أيضاً رحالة ماهراً جاب أقاليم مصر شمالاً وجنوباً طلباً للعلم، فطاف ببلاد الصعيد ووصف مدنها وصفاً دقيقاً وذكر معيزات كل منها، وتقدير مسافاتها ومساحتها، وأكابر أعيان ساكنيها. فأوضحت معارفه عن إقليم قوص الممتد من حدود جرجا التابعة لإقليم أخميم شمالاً حتى أبهر من حدود أسوان جنوباً. معرفة المعاييش والخبیر، وربما تأتت له هذه الميزة من خلال زيارته المتكررة لتلك المدن قبل الشروع في تصنيف مؤلفه أو من خلال تجواله بينها طلباً للعلم في مدارسها على أيدي أكابر شيوخها، فالثابت صراحة من ثنايا مصنفه أنه زار كلاً من أسنا³، أسوان⁴، قوص⁵، قمولا⁶، قنا⁷، الأقصر⁸، أرمنت⁹، هو¹⁰، فرجوط¹¹، أسفون¹²، أخميم¹³، البهنسا¹⁴، البلينا¹⁵، دمامين¹⁶، فاو¹⁷ بالإضافة إلى

1 الطالع السعيد، ص 580، 581.

2 الصفدى، أعيان، ج2، ص 153؛ الوافى، ج1، ص 77.

3 الطالع السعيد، صفحات: 47، 211، 318.

4 الطالع السعيد، صفحات: 102، 515، 520.

5 الطالع السعيد، صفحات: 102 - 103، 233، 253.

6 الطالع السعيد، ص 127، وقمولا أو قمولة بلدة بصعيد مصر تقع غرب النيل وتكثر بها أشجار النخيل، للمزيد انظر: ياقوت، معجم البلدان، مج4، بيروت 1979، ص 398؛ محمد رمزي، القاموس الجغرافى، ق2 ج4، القاهرة 1994، ص 183.

7 الطالع السعيد، صفحات: 156، 303، 387.

8 الطالع السعيد، ص 177.

9 الطالع السعيد، صفحات: 194، 290، 341.

10 الطالع السعيد، ص 279، "هو" من أقدم بلاد الصعيد وتقع غرب مدينة قوص، انظر: ياقوت، معجم البلدان، مج5، ص 420.

11 الطالع السعيد، ص 347، ويقال لها فرشوط وهى بلدة بصعيد مصر وتقع غرب النيل انظر: ياقوت، معجم البلدان، مج4، ص 251؛ رمزي، القاموس الجغرافى، ق2 ج4، ص 197.

12 الطالع السعيد، ص 365.

13 الطالع السعيد، ص 399.

14 الطالع السعيد، ص 542.

15 الطالع السعيد، ص 647، والبلينا مدينة على شط النيل بصعيد مصر يكثر بها الطلاسم وأعمال السحر حتى إن التماسيح حالما تمر بها تنقلب على ظهرها انظر: ياقوت، معجم البلدان، مج4، ص 493.

16 الطالع السعيد، ص 656.

17 الطالع السعيد، ص 715، وفاو قرية بصعيد مصر تقع شرق نهر النيل وبها دير باخوم وتعرف بقرية ابن شاکر نسبة إلى أحد أمراء العرب انظر: ياقوت، معجم البلدان، مج4، ص 234.

بلدته أدفو، ناهيك عن مدن أخرى زارها دون أن يشير إلى ذلك صراحة، بيد أنه أشار إليها ضمناً من خلال صلته الشخصية بتراجم أعلامها.

أما رحلات الأدفوى في أقاليم الوجه البحري فقد أشار إليها على استحياء دون الخوض في تفاصيل مدنها من حيث الموقع والمساحة وغيرها على اعتبار أنها خارج نطاق البحث والدراسة، وإن لم يمنعه ذلك من الإشارة إلى بعض أكابر شيوخها الذين تلقى عن بعضهم العلوم المختلفة، فحالما ارتوى من مناهل قوص العلمية شق طريقه إلى القاهرة كعبة العلماء وقبلتهم من الشرق والغرب وحاضرة العالم الإسلامي الثقافية بعد أن أذنت شمس بغداد بالمغيب على يد المغول سنة 656هـ/1258م، فلازم شيخه أبي حيان التوحيدى منذ سنة 717هـ/1317م وحتى وفاته (شيخه) فسمع منه الحديث واغترف من علمه الكثير، وكان عند حسن ظن شيخه به، لدرجة أنه أفرد له ترجمة مطولة في مؤلفه "البدر السافر" تفاخر فيها بأن شيخه امتدحه بقصيدتين رائية ولامية¹.

وظل الأدفوى بالقاهرة ينتقل بين مدارسها وجوامعها وينهل من علوم أسيائها، فاستقر به المقام في أول الأمر بجامع ابن طولون²، ثم أقام بالمدرسة الصالحية³، وعمل معيداً بها، ثم مدرساً للحديث بالمدرسة الملحقه بجامع الأمير جنكلى بن البابا⁴، كما زار الغربية⁵ والإسكندرية⁶، بيد أنه مع انغماسه في طريق العلم بالقاهرة وأقاليمها لم ينس موطنه الأصلي أدفو فكثيراً ما كان يهرع إليها ويقيم بها حتى تنتهى فترة العطلة السنوية ليعود بعدها لمواصلة دروسه العلمية بمختلف البلدان المصرية⁷، وتبعاً لذلك شغله الارتحال في طلب العلم وانغماسه فيه عن الزواج "فلم يتيسر له لفقدانه داعية ذلك عنده"⁸، رغم أنه كان يعيش في رغد من العيش ومكانة اجتماعية متميزة، بما تركه له أبوه

1 ابن قاضى شهبه، طبقات، ج3، ص 20.

2 الطالع السعيد، ص 63.

3 الطالع السعيد، ص 106.

4 الأسنوى، طبقات، ج1، ص 171.

5 الطالع السعيد، ص 269.

6 الطالع السعيد، ص 360.

7 الصنفى، أعيان، ج2، ص 153؛ الوافى، ج11، ص 78؛ ابن حجر، الدرر، ج1، ص 535؛

الشوكانى، البدر، ص 182.

8 ابن قاضى شهبه، طبقات، ج3، ص 21؛ الأسنوى، طبقات، ج1، ص 171.

من أملاك كانت تحت وصاية عمه، أنشأ من خلالها بستاناً ببلده كان يأوى إليه في أوقات العطلة الدراسية¹، ناهيك عن إشارة أحد المصادر² إلى حمله لوظيفة القاضي بما ينم عن انخراطه في شريحة متميزة ضمن طبقة الفقهاء التي تمتعت بمكانة مرموقة إبان ذلك العصر بحكم ما للدين ورجاله من سطوة وتأثير على النفوس.

كما ذكرت بعض المصادر³ أن الأدفوى قبل أن توافيه منيته ارتحل لأداء فريضة الحج عام 748 هـ/1347 م، فكانت بمثابة خاتمة العلوم الدينية التي نشأ على دراستها، وتكملة لأركان الإسلام، ولا شك أنه التقى بالعديد من العلماء في مكة، أو في أثناء رحلتي الذهاب والعودة، واستفاد منهم وأفاد، بيد أن المصادر لم تفض في الحديث عن تلك الرحلة، ويبدو أن الطاعون الأسود الذي اجتاح العالم الإسلامي آنذاك شغل اهتمام المؤرخين بتسجيل أحداثه وآثاره ونتائجه المدمرة عن تتبع وفود علماء الحج.

أما عن الانتماء المذهبي للأدفوى فلا خلاف على أنه شافعي المذهب⁴، حيث قرأ على أحد شيوخه كتابي "المهذب" و "التنبيه" في فروع الشافعية، ونال الإجازة في ذلك⁵، أضاف إلى ذلك وضوح فكره السنّي في مؤلفه، فالكثير من تراجمه كان "متبعاً للسنّة، معظماً لأهل العلم وطلبته، صحيح الاعتقاد، كان يحفظ مسائل الفقه والكلام، وكان صحيح العقيدة سالماً من البدع"⁶، كما وضع تحامله على المذهب الشيعي مدناً وتراجماً، فحين يتحدث عن إقليم الصعيد عامة يقر بأن مذهب الشيعة كان فاشياً به⁷، ثم يبدأ في عرض خريطة جغرافية بأهم جيوب الشيعة، ففي أسوان يقول: "لما كانت البلاد للعبّيين غلب على أهلها التشيع، وكان بها قديماً جداً، وقد قل ذلك واضمحل، والله الحمد والمنة"⁸،

1 الطالع السعيد، ص 662.

2 ابن تغرى بردى، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج6، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة 1990، ص 254.

3 ابن حجر، الدرر، ج1، ص536؛ الزركلي، الأعلام، ج2، ص 122.

4 الصفدى، أعيان، ج2، ص 152؛ الوافي، ج1، ص 77؛ ابن حجر، الدرر، ج1، ص 535؛ الشوكاني، البدر، ج1، ص 182.

5 الطالع السعيد، ص 732.

6 الطالع السعيد، ص 660، 661.

7 الطالع السعيد، ص 424.

8 الطالع السعيد، ص 34.

وعن بلدته أذفو يقر بأنه " كان التشيع بها فاشيا، وأهلها طائفتان الإسماعيلية والإمامية ثم ضعف حتى لا يكاد ينبذ به إلا أشخاص قليلة جداً " ¹، وشهد بأن أسنا " كان التشيع بها فاشيا، والرفض بها ماشيا، فجف حتى خف " ²، وبلغ من شهرتها ببلاد الشام أن أقر أهل حلب بأن كل من وفد عليهم منها كان شيعياً ³، وذكر أن بلدة أسفون " معروفة بالتشيع الشنع، لكنه جف وقل " ⁴، ويقول عن أرمنت إن " التشيع بها كثيراً، فقل أو فقد " ⁵. ورغم إقراره في إشاراته بانحصار المد الشيعي بصعيد مصر إلا أنه يتحدثنا في الوقت نفسه عن تجمع للشيعية أشبه بالثورة في سنة 697هـ/1297م تحت قيادة شخص من نسل الخليفة العاضد الفاطمي ⁶.

أما في تراجعه لبعض أعلام المذهب الشيعي فقد تحامل عليهم، كارهاً لتعاليمهم ومبادئهم القائمة على سب أبي بكر وعمر، حتى ولو كانوا من أهله وعشيرته، ففي حديثه عن أحد أقربائه ذكر أنه " هو كل يوم من الخير في زيادة، مع صدق في لهجة وصيانة، وأمانة وديانة، إلا أنه كان من أتباع الشيعة أصحاب تلك البدع الشنيعة " ⁷، وبصدد ذكره ابن عمه أقر بأنه كان على مذهب الشيعة الإسماعيلية، فلما مرض " فلم أصل إليه، ومات فلم أصل عليه " ⁸ وأمسى من يتهم بالتشيع يصبح خارجاً عن الدولة ويتعرض للمصادرة والعزل من وظائفه ⁹، أو يحكم بسقوط عدالته وعدم قبول فتواه إن كان فقيهاً خطياً ¹⁰ بل ونالت حملته ضد التشيع نصيباً من استشهاداته الشعرية ¹¹، وعزف في كثير من الأحيان عن تقبل الشعر ممن اجتمع به أو

1 الطالع السعيد، ص 37.

2 الطالع السعيد، ص 38، 693.

3 الطالع السعيد، ص 170.

4 الطالع السعيد، ص 39.

5 الطالع السعيد، ص 41.

6 الطالع السعيد، ص 368.

7 الطالع السعيد، ص 66.

8 الطالع السعيد، ص 330، 331.

9 الطالع السعيد، ص 210.

10 الطالع السعيد، ص 295.

11 الطالع السعيد، ص 227.

قابله من الشيعة¹ حتى يعلن توبته عن هذا المذهب²، بيد أنه من ناحية أخرى كان منصفاً وموضوعياً فلم يغفل الجوانب الإيجابية الموسوم بها أصحاب تلك التراجم من الشيعة فأفاض في ذكر فضائلهم الأخلاقية ومؤهلاتهم العلمية الغنية في كافة العلوم، ولم يستثن من فضائلهم سوى كونهم على المذهب الشيعي.

وكذا اختلف المؤرخون حول وفاة الأدفوى فذهب فريق³ بأنه توفي في شهر صفر سنة 748هـ/1347م عقب عودته من أداء فريضة الحج، وقبيل الطاعون الأسود الذي أصاب مصر والعالم الإسلامي آنذاك، ونادى آخر⁴ بأن وفاته كانت جراء الطاعون في عام 749هـ/1348م، وذكر ابن حجر⁵ الرأيين بالنقل من مصادره دون أن يرجح أحدهما، ولعل الرأي الأول بعيد عن الصحة لكونه ترجم لأحد أعلامه في "الطالع السعيد" وذكر وفاته في شهر ربيع الأول سنة 748هـ/يونيو 1347م⁶ فكيف ترجم له وهو في عداد وفيات شهر صفر من تلك السنة؟؟!!، مما يجعل الرأي الثاني أقرب للترجيح بوفاته في أوائل عام 749هـ يدعمه قول الصفدي - المعاصر زمنياً له - تفصيلاً بأنه "توفي رحمة الله تعالى على ما جاء الخبر بوفاته إلى دمشق في أوائل سنة تسع وأربعين وسبعائة"⁷ على اعتبار أن وصول الخبر على وجه السرعة من مصر لدمشق كان يستغرق ثلاثة أيام عن طريق نظام البريد⁸،

1 الطالع السعيد، ص 341، 419.

2 الطالع السعيد، ص 621.

3 الأسنوي، طبقات، ج1، ص 171؛ ابن الخطيب، الوفيات، ج2، ص 43؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص 136.

4 الصفدي، أعيان، ج2، ص 153؛ المقرئ، السلوك، ج2 ق3، ص 793؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج10، ص 237؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 480؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 167، 230؛ ج2، ص 1091.

5 ابن حجر، الدرر، ج1، ص 536.

6 الطالع السعيد، ص 248.

7 الوافي، ج11، ص 78.

8 ابن القوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، بغداد 1351هـ، ص 392؛ ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: سيدة فاتيها صادق، باكستان 1956، ص 32؛ المقرئ، السلوك، ج1 ق2، ص 446؛ إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج2، القاهرة 1314هـ، ص 168؛ وعن نظام البريد في العصر المملوكي البحري ودوره في نقل الأخبار انظر للباحث: البريد في عصر دولة سلاطين المماليك البحرية، رسالة ماجستير غير منشورة بآداب عين شمس 2000م.

وأحياناً أخرى فى يومين وسبع ساعات¹، وفى الأوقات العادية فى عشرين يوماً².

مؤلفات الأدفوى:

أما عن مصنفات الأدفوى فأشار إلى بعضها بين طيات مؤلفه " الطالع السعيد " وهى كالآتى:

البدر السافر عن أنس المسافر:

اختلف المؤرخون حول عنوانه فذكره بعضهم³: " البدر السافر وتحفة المسافر، وأورده آخرون⁴ " البدر السافر فى تحفة المسافر"، والثابت على لسانه فى " الطالع السعيد " أنه "البدر السافر عن أنس المسافر"، نستشف ذلك من قوله بمعرض ترجمته أحد أعلامه: "ذكرت قطعة من شعره فى كتابى " البدر السافر عن أنس المسافر"⁵، مختصراً إياه مراراً بقوله: " ذكرت بعضها فى مجموعى (أنس المسافر) "⁶، وهو عبارة عن مجلدين يحتويان على فرائد وغرائب لتراجم شعراء عاش أكثرهم فى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى، وبعضاً منهم فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى، وقلة فى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، منتهجاً فيه أسلوب ابن خلكان فى كتابه "وفيات الأعيان"⁷، ويبدو واضحاً من صيغة الماضى فى أقواله أنه فرغ منه فعلاً قبل الشروع فى كتابة الطالع السعيد، ونظراً لأهميته فقد اعتمد

1 النويرى، نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج1، تحقيق: السيد الباز العرينى، القاهرة 1992، ص 8؛ ابن الدوادارى، كنز الدرر وجامع الغرر، ج8، الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية، تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة 1971، ص 232؛ المقريزى، السلوك، ج1 ق3، ص 664؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج7، تحقيق: قسطنطين زريق، نجلاء عز الدين، بيروت 1939، ص 152
2 الأنصارى، تفرج الكروب فى تدبير الحروب، تحقيق: جورج اسكانلون، الجامعة الأمريكية بالقاهرة 1961، ص 14.

3 حاجى خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 230؛ الزركلى، الأعلام، ج2، ص 122.

4 الصفدى، أعيان، ج2، ص 153؛ ابن قاضى شهاب، طبقات، ج3، ص 21؛ ابن حجر، الدرر، ج1، ص 535؛ الشوكانى، البدر، ج1، ص 182؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص 136.

5 الطالع السعيد، ص 414.

6 الطالع السعيد، صفحات 65، 335، 504.

7 ابن قاضى شهاب، طبقات، ج3، ص 21؛ حاجى، كشف الظنون، ج1، ص 230.

عليه كثيرون من المؤرخين اللاحقين فيما صنفوا مثل: الصفدى¹ والأسنوى² والسبكي³ وابن حجر⁴.

الإمتاع فى أحكام السماع:

اختلف المؤرخون أيضاً فى عنوانه، فذكره أحدهم⁵ "الإتباع فى أحكام السماع"، واكتفى ثان⁶ بـ "الإمتاع"، وأورده ثالث⁷ بـ "كشف القناع"، وأشار رابع⁸ بأنه جمع مصنفات فى السماع، بيد أن الثابت على لسانه فى "الطالع السعيد" - وسار على نهجه بعض من المؤرخين -⁹ هو قوله: "وقد ذكرت شيئاً من ذلك فى كتابى "الإمتاع فى أحكام السماع"، وهو كتاب نفيس لم يصنف مثله، وفيه فوائد موسيقية عن آلات العزف والضرب، كشف من خلاله عن إحاطته بهذا الموضوع لاسيما وأنه "كان يميل إلى ذلك ميلاً كبيراً ويحضره"¹⁰، ويبدو واضحاً من صيغة الماضى الواردة على لسانه أنه فرغ منه كسابقه، وقد لخصه أبو حامد المقدسى وسماه "تشنيف الأسماع"، واكتفى بجوهره دون الخوض فى تفاصيله، وصار على نفس تبويب الأدفوى الذى قسمه إلى مقدمة وبابين، وقد طرق الأدفوى تلك المسألة رغم اختلاف العلماء فى ضروب الغناء من حيث جوازه أو تحريمه، واعتبروها قضية طويلة الذيل، اختلفت فيها الآراء وتباينت فيها الأقوال¹¹.

1 أعيان، ج4، صفحات 382، 453، 680؛ ج5، ص 203.

2 طبقات، ج2، ص 186، 225.

3 طبقات الشافعية الكبرى، ج10، ص 133.

4 الدرر، ج6، ص 234، 262.

5 الشوكانى، البدر، ج1، ص 182.

6 الأسنوى، طبقات، ج1، ص 152.

7 ابن العماد، شذرات، ج3، ص 153.

8 ابن الخطيب، الوفيات، ج2، ص 43.

9 الطالع السعيد، ص 654؛ الصفدى، أعيان، ج2، 153؛ السيوطى، حسن المحاضرة، ج1، ص 480؛

ابن الغزى، ديوان الإسلام، بيروت 1990، ص7؛ حاجى، كشف، ج1، ص 167؛ كحالة، معجم،

ج3، ص 136.

10 ابن قاضى شهاب، طبقات، ج3، ص 20؛ الأسنوى، طبقات، ج1، ص 171.

11 حاجى، كشف، ج1، ص 167.

الغرر الماثورة والدرر المنظومة والمثورة

وهو عبارة عن مجموعة من الفوائد والمسائل الفقهية التي اعتنى فيها بالنقل من أسلافه، ثم زاد عليها عدة إضافات خص نفسه بهذا الجزء منها¹.

فرائد الفوائد في علم الفرائض²

أورده أحد المؤرخين المحدثين³ باسم "فرائد الفوائد ومقاصد القواعد"، وهو يدور حول علم الفرائض.

الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد:

وهو آخر مؤلفات الأدفوى، وبالمثل اختلف المؤرخون الذين ترجعوا له حول عنوانه، فننادى فريق⁴ بأنه "الطالع السعيد في تاريخ الصعيد"، وأورده آخر⁵ بـ "الطوالع السعيد الجامع لأسماء فضلاء الصعيد"، ومال ثالث⁶ بأنه "الطالع السعيد الجامع لأسماء فضلاء الصعيد"، وذكره الزركلي⁷ بعنوان: "الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد"، والثابت هو ما أورده الأدفوى نفسه في مقدمة كتابه⁸ بقوله: "وسميته الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد"، وأياً كان الاختلاف فهو ليس جوهرياً، بل هو تصحيف لبعض الألفاظ والحروف، وإن كان معنى الاسم متفقاً عليه، كما اتفقوا على نسبته للأدفوى.

وأشار الأدفوى صراحة في مقدمة كتابه⁹ أنه مبتكر لهذا العمل " فلم أجد من تقدمني

1 ابن قاضي شهبة، طبقات، ج3، ص 21.

2 الزركلي، الأعلام، ج2، ص 123.

3 مقدمة كتاب الطالع السعيد، ص (ن).

4 الصفدي، أعيان، ج2، ص 153؛ الوافي، ج1، ص 78؛ ابن حجر، الدرر، ج1، ص 535؛ المقرئ، السلوك، ج2 ق3، ص 793؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج10، ص 237؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 480؛ الشوكاني، البدر، ج1، ص 182.

5 إسماعيل، هدية العارفين، ج1، ص 254.

6 حاجي، كشف، ج2، ص 254.

7 الأعلام، ج2، ص 122-123.

8 الطالع السعيد، ص 6.

9 الطالع السعيد، ص 5.

فيه فأكون له تابعاً، ولا من أسأله فأكون لما يورده جامعاً"، غير أنه ذكر أن الشريف الإدريسي ألف كتاباً بعنوان "المفيد في ذكر من دخل الصعيد" لم يستطع الوقوف عليه، بل "ولا رأيت أحداً يذكر أنه وقف عليه"¹.

وبالرغم من أنه صرح في خاتمة كتابه أنه أتمه في ذى القعدة سنة 738هـ/ مايو 1338م ثم زاد فيه تراجم إلى آخر سنة 740هـ/ مايو 1340م إلا أنه في ترجمته رقية بنت محمد القشيري ذكر أنها "توفيت بالقاهرة يوم الجمعة رابع عشر شعبان سنة إحدى وأربعين وسبعمائة"²، وكذا للزبير بن علي الأسواني ذكر أنه "توفي بالمدينة ليلة الجمعة رابع شهر ربيع الأول وصلى عليه صبيحة يوم الجمعة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة"³ مما يبين مراجعته مؤلفه وتنقيحه باستمرار وإضافة ما يستجد من التراجم في حالة وفياتها بحياته.

هذا وأقر الكمال الأدفوى في مقدمة "الطالع السعيد" أن هناك دافعين أساسيين جعلاه يشرع في كتابته، أولهما عرفاناً بالجميل لبلده أدفو - من إقليم قوص - حيث إنه "الموضع الذى منه نشأتى، والمكان الذى إليه نسبى، والمحلة التى فيها عشتى الذى منه درجت، وخشيت الذى عنه خرجت"⁴، لذا وقع على عاتقه تخليد أعلام ذلك الإقليم من الأدباء والشعراء والمؤرخين والمحدثين وإنجازاتهم، معبراً عن ذلك بقوله: "فأحببت أن أحيى ما مات من علمائها، وأنشر ما انطوى من فضل فضلائها، وأظهر ما خفى من نثر بلغائها، ودرس من نظم شعرائها، وأذكر ما نسى من مكارم كرمائها، وكرامة صلحاءها"⁵، ويبدو أنه جال بنظره للوراء قليلاً حيث موجات المد المغولى التى أتت على الأخضر واليابس، وجعلت بلدان العالم الإسلامى أطلالاً عفا عليها الزمن، فأراد أن يصنف لإقليمه ويخلد أعلامه أسوة بمن سبقه من المؤرخين أمثال ابن العديم والعز بن شداد اللذين صنفاً لمسقط رأسيهما حلب خوفاً من غوائل الدهر ونكباته.

وثانى دوافعه الذى جعل مؤلفه موضع التنفيذ أن شيخه أثير الدين أبو حيان

1 الطالع السعيد، ص 535، 536.

2 الطالع السعيد، ص 247.

3 الطالع السعيد، ص 248.

4 الطالع السعيد، ص 3-4.

5 الطالع السعيد، ص 4-5.

الغرناطى أشار عليه بتأليفه، مقرأً ذلك بقوله: "أشار على أن أعمل تاريخاً للصعيد مرة ومرة، وراجعتني في ذلك كره بعد كره، فرأيت امتثال إشارته على متعيناً حتماً، والإعراض عن إجابته غرماً لا غنماً، فشرعت في هذا التأليف" ¹، وأغلب الظن أنه وشيخه اختاراً عنوان مؤلفه هذا على نظم عنوان ابن سعيد الغرناطى الذى ألف كتاباً بعنوان: "الطالع السعيد في تاريخ بنى سعيد" ².

ترجم الأدفوى لأعلام وإقليمه والذين بلغ عددهم حوالى خمسمائة وأربع وتسعون، جلهم من الأدباء والشعراء والفقهاء وعلى استحياء منه المؤرخين مثل النويرى ³، نال بعضهم حظاً وافراً من الحديث وصل إلى حيز العديد من الصفحات، والبعض الآخر وصل إلى بضعة سطور، وقد غلب على المؤلف الطابع الأدبى، وعد أول من تناول بالدراسة الحياة الثقافية والفكرية فى صعيد مصر، فتحدث عن الشعراء وأشعارهم، وإن كان العماد الأصفهاني فى "خريدة القصر" قد تناول بعض شعراء الصعيد، بيد أن الأدفوى أضفى طابع الخصوصية على إقليم الصعيد فقط، وجاء مؤلفه مليئاً بالاستشهادات الشعرية، قليل النصوص النثرية، معلقاً عليها بحاسته الأدبية، منصباً نفسه قاضياً للحكم على جودة هذا الشعر أو رداءته، وإن اتسمت أحكامه بالعمومية، وسوف يأتى ذكر ذلك بصدد منهجه فى الكتابة، كما يعتبر مرجعاً جوهرياً عن دور العلم إبان تلك الفترة ممثلة فى المدارس والمساجد فى ذلك الإقليم.

أما عن الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية فلم تنل القسط الكافى من كتاباته، وجاءت فى شذرات عرضية بمعرض حديثه عن جغرافية إقليم قوص، أو علاقة تراجمه بحكام الأقاليم أو الدولة، أو بصدد تناوله إحدى بلدان الصعيد بالحديث، بيد أن تلك الشذرات الصغيرة على درجة كبيرة من الأهمية.

تفصيلاً لذلك تناول الأدفوى الجغرافية الطبيعية لإقليم قوص فذكر أنه يتميز بارتفاع شديد فى درجة الحرارة صيفاً، نتج عنها انتشار كثير من الهوام على أراضيه مثل العقارب

1 الطالع السعيد، ص 5.

2 المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، تحقيق: إحسان عباس، بيروت 1968، ص 190؛ ج2، ص 336؛ ج4، ص 178؛ إسماعيل البابانى، هدية العارفين، ج1، ص 715، بيد أنه ذكره مصحفاً بعنوان: "الطالع السعيد فى تاريخ بنى سعيد".

3 الطالع السعيد، ص 96.

والشعابين والتي كانت سبباً في مقتل بعض تراجمه¹، بيد أنه في فصل الشتاء يتميز باعتدال المناخ وطيب الهواء وقلة الهوام والحشرات الضارة وقلة انتشار الأمراض، فلا "يكاد يوجد بها أجذم ولا أبرص إلا نادراً في حكم العدم، ولا من به شيء من الأمراض التي تعاف"²، ناهيك عن قلة سقوط الأمطار بذلك الإقليم، فإذا ما هطلت بغزارة عد ذلك شيئاً غير مألوف، وعدها نقطة زمنية لإثبات حادثة ما، فإذا مات شخص ما قيل "كان يوم موته مطر كثير"³.

ومن الناحية الإدارية وضع الأدفوى حدود إقليم قوص وقسمه إلى كورتين شرقية وغربية يفصل بينهما النيل ثم ذكر بلدان ذلك الإقليم تفصيلاً، موضحاً أن آخر حدوده هي قرية "جنوية" أول أراضي بلاد النوبة "ولسلطان مصر مقرر على هذه القرية يؤخذ منها"⁴، ويبدو واضحاً أن مدينة أخميم كانت تابعة لوالى قوص وتحت إشرافه، فغالباً ما نرى مصطلح "والى قوص وأخميم" في المصادر المملوكية⁵، أضف إليها ميناء عيذاب على ساحل البحر الأحمر والذي كان أغلب حكامه من إقليم قوص⁶.

ورغم دور الصعيد البارز في الحياة السياسية إبان العصر المملوكى إلا أن الأدفوى لم يعرض له عدا بعض الإشارات التى وردت في ثنايا مصنفه بمعرض حديثه عن تراجع أعلامه، منها إشارات عن بعض حكام مدينة أسنا في العصر الأيوبي والذين ارتبطوا بأواصر الصداقة مع الملك الكامل الأيوبي وتبذلت بينهم الرسائل والهدايا⁷، بالإضافة إلى زيارة الناصر محمد بن قلاوون لقوص سنة 718هـ/1318م⁸، وهو ما ينم عن وعيه والتزامه بعنوان مؤلفه ومنهجه الذى رسمه لنفسه في مقدمته.

1 الطالع السعيد، صفحات 283، 523، 733.

2 الطالع السعيد، ص 44.

3 الطالع السعيد، ص 362.

4 الطالع السعيد، ص 7، 9.

5 الطالع السعيد، ص 227، وانظر عنه أيضاً: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج4، المطبعة الأميرية بالقاهرة 1913-1918م ص 26؛ ج7، ص 171.

6 الطالع السعيد، صفحات 297، 503، 684.

7 الطالع السعيد، ص 176، 179.

8 الطالع السعيد، ص 70.

أما عن ثورات عربان الصعيد فلم تجد القسط الوافي في كتابه، لكون مؤلفه خاص بالتراجم الدينية والأدبية لأعلام ذلك الإقليم، ورغم إقراره بانتشار الأمن في ذلك الإقليم - على عصره - لدرجة أن الإنسان يسير " فيه ليلاً ومعه ما شاء فلا يجد من يعترضه، ولقد ركبت مرة وأمسى الليل على وأنا وحدي فربطت الدابة في حجر ونمت" ¹ إلا أنه يحدثنا عن ثورات العربان الضارية في أوائل العصر المملوكي كتلك التي حدثت في عهد المعز أيلك وتزعمها أحد الأشراف العلويين وهو حصين الدين بن ثعلب سنة 1253/651م ممناً نفسه بكرسى السلطنة بعد أن دانت بلاد الصعيد في قبضته بحيث صار يولى من يشاء على البلاد التابعة لقوص، بيد أن الأمير فارس الدين أقطاي توجه إليه على رأس حملة تأديبية وأتى به أسيراً ورسم بشنقه ².

كما أشار الأدفوى إلى حملة بيبرس الأولى على بلاد النوبة أوائل سنة 671هـ/1272م والتي كانت تابعة اسمياً للدولة المملوكية، حيث كان ملوكها يدفعون الجزية مقابل حمايتهم، بيد أنهم كانوا يمنعونها كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، بل ودأبوا على الإغارة على مناطق الثغور الإسلامية، وفي إحدى هذه الغارات من قبلهم - في السنة المذكورة - على ثغر عيذاب الميناء التجاري، قاموا بسلب ونهب وقتل التجار وعاثوا في سكان البلدة قتلاً وأسرًا، فخرج إليهم والى قوص الأمير علاء الدين الخازندار على رأس حملة ثأرية فأضرم النار في مدنها، وسوى مساكنهم بالأرض ³.

أما من الناحية الاقتصادية فأمدنا الأدفوى بمعلومات جد ثرية عن الحياة الاقتصادية في صعيد مصر إبان العصر المملوكي، فعرض لأهم المحاصيل الزراعية التي تميز بها ذلك

1 الطالع السعيد، ص 28.

2 الطالع السعيد، ص 504.

3 الطالع السعيد، ص 503، وعن تفاصيل تلك الحملة انظر: ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيط، فيسبادن 1983، ص 52-53؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج3، حيدر -آباد، الهند 1960، ص 2؛ ابن الدوادري، الدرر الزكية، ص 168؛ شافع بن علي، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، الرياض 1976، ص 152؛ مفضل، تاريخ سلاطين الممالك أو النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، نشره وترجمه للفرنسية وعلق عليه Blouchet في دورية:

الإقليم من قبيل أشجار النخيل التى كانت منتشرة على شاطئ النيل بادفو وأسنا وأسوان
والتي كانت مورداً أساسياً للتمر حيث إن النخلة الواحدة كان يحصل منها حوالى اثنى
عشر أردباً من التمر، بل إن أسنا أنتجت في إحدى السنوات "أربعون ألف أردب تمر"،
وأسوان "ثلاثون ألف أردب"¹.

أشار أيضاً إلى الأراضي الخصبة التى كانت مرتعاً لزراعة القمح والشعير والذرة،
بحيث إن الفدان الواحد كان يحصل منه "ثلاثون أردباً من البر ومن الشعير أربعون ومن
الذرة أربعة وعشرون وما يقارب ذلك"²، لذا ليس بغريب أن الصعيد كان من الأقاليم
المصدرة للقمح لأقاليم الوجه البحرى والقاهرة، بل وكان يصدر إلى الحجاز عن طريق
ميناء عيذاب مقراً بأن أحد فقهاء أرمنت كان مسافراً وشاهد مركب يحمل بالقمح متجهاً
للحجاز للتصدق بها في مكة³.

كما أفاد بانتشار العنب بادفو مدلاً بقوله: "رأيت قطف عنب جاءت زنته ثمانية أرطال
باليشى، ووزنت حبة عنب جاءت زنتها عشرة دراهم، وذلك بأدفو بلدنا"⁴، ناهيك عن
تميز الصعيد بزراعة البطيخ الذى اشتهر بحلاوته وكبر حجمه حيث لا "يكاد يستقل
بحمل الحبة الواحدة إلا الرجل الشديد القوة"⁵.

هذا وساعد على نجاح تلك المحاصيل سواء كانت محاصيل حقلية أو أشجار فاكهة،
عدوية ماء ذلك الإقليم بحيث عد من أحسن المياه لعذوبته وحلاوته وشدة بياضه،
فصارت فاكهته شديدة الحلاوة حسنة المنظر، تفوح من مختلف أنحائه رائحة رياحينه
العطرة، ويكفى أن أحد الأشخاص انتقد مناخ قوص وجوها الحار فرد عليه الفقيه تقي
الدين بن القشيري قائلاً: "أين أنت من طيب فاكهتها وعطرية رياحيتها"⁶، مضافاً إلى
ذلك وجود بعض العوامل البشرية ممثلة في المشرفين (كالخولى) ممن له خبرة بالتنظييات
الزراعية ومعرفة بالمزروعات⁷.

1 الطالع السعيد، ص 25، 26.

2 الطالع السعيد، ص 28.

3 الطالع السعيد، ص 528.

4 الطالع السعيد، ص 26.

5 الطالع السعيد، ص 28.

6 الطالع السعيد، ص 26، 27.

7 الطالع السعيد، ص 681، وعن الخولى انظر: ابن ممتي، قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية،
القاهرة 1943، ص 278.

وعن الثروة الحيوانية حدث ولا حرج فقد اشتهر الإقليم بوفرة الأغنام والماشية، نظراً لامتلاك كثير من السكان أعداداً وفيرة منها، ساعدهم على تربيتها طيب المرعى وجودة العلف وحسن الغلال، مما نتج عنه وفرة في إنتاج الألبان خاصة في فصل الشتاء¹.

وبالنسبة للثروة السمكية كانت قوص ونواحيها عامرة بالأسماك سواء من مصايد نهر النيل أو البحر الأحمر، نتج عنها وجود أسواق خاصة لها في قفط وقوص وأسوان².

وعن الثروة المعدنية أفاد الأدفوى بانتشار المعادن والأحجار الكريمة وغير الكريمة في ذلك الإقليم، ففي قفط انتشر معدن الزمرد، وبقنا يوجد معدن البرام الذي تصنع منه القدور التي امتازت بجودة الطبخ فيها، وفي صحراء مصر العليا كان يستخرج حجر الباذهر بالقرب من معدن الزمرد، وبالقرب من أدفو يوجد معدن النفط³، وتبعاً لذلك كان الكثير من تلك المعادن يصدر للقاهرة إما عن طريق ميناء عيذاب أو عن نهر النيل أو الطريق البري.

وكان من جراء غنى الإقليم بالثروات والمواد الخام المتنوعة أن ازدهرت الصناعة تبعاً لذلك، فعرفت مدن الإقليم الصناعات العامة والمتخصصة، وحمل أصحابها الألقاب التعظيمية من قبيل "فخر الصنائع"⁴.

وتأتى صناعة السكر كأحد الصناعات انتشاراً في ذلك الإقليم نظراً لزراعة مساحات كبيرة من محصول قصب السكر والذي يجنى من ورائه الفلاحون عائداً وفيراً لعدم تأثره بالأمراض والإصابات التي تصيب المحاصيل الأخرى، بالإضافة إلى صلابه أعواده التي تعجز معه الفئران عن إنزال الضرر به⁵، وتبعاً لذلك انتشرت كثير من معاصر قصب السكر ومطابخه بالوجه القبلي بعضها خاصاً بالدولة ونوابها، والبعض الآخر خاص بالأهالي⁶، فوجد بمدينة قفط "أربعون مسبكاً للسكر وست معاصر للقصب"⁷.

1 الطالع السعيد، ص 28.

2 الطالع السعيد، ص 33.

3 الطالع السعيد، ص 43، 44.

4 الطالع السعيد، ص 305.

5 الطالع السعيد، ص 18.

6 الطالع السعيد، ص 741.

7 الطالع السعيد، ص 13.

وبمدينة سمهود "سبعة عشر حجراً" لعصر السكر إضافة إلى جودة قصبها الذى لا تقربه الفئران مطلقاً¹، كما انتشرت مسابك السكر بمدينة البلينا².

ازدهر الإقليم أيضاً بصناعة الفخار لانتشار "معدن البرام" الذى تصنع منه أوانى الطبخ خاصة بادفو كما سبق ذكره، أما أسوان فيها "جبل الطفل يعمل منه الفخار وكيزان الفقاع لا يوازيه شئ من نوعه"³.

كما تعاني أهل ذلك الإقليم صناعة أقمشة الغزل والنسيج وخصصوا لها دوراً لصناعتها سواء فى بيوتهم أو حوانيتهم يقومون بإدارتها ورعايتها، حازت الشهرة والجودة لمهارتهم فيها، فمن هؤلاء من تخصص فى صناعة الفرش المبسوطة⁴، كما اشتهر أهل أسوان خاصة بصناعة الجباب والقوط القطنية⁵، ومنها كانت تصدر إلى الوجه البحرى والقاهرة.

أما عن التجارة والتجار فيبدو من خلال الشذرات الواردة فى مؤلفه أنهم تمتعوا بحظ وافر من الثروة جراء تعاني التجارة خارج البلاد أو داخلها مما جعل الشعراء يتسابقون فى إلقاء قصائد المديح لهم بغية الحصول على هداياهم ونيل رضاهم⁶، بل وساهم التجار الكارمية بصفة خاصة فى إثراء الحياة العلمية بصعيد مصر بمساهماتهم فى تشييد المدارس ورصد النفقات لرجال العلم والدين⁷، بل ولم ينس أن يذكر ما كان يحل بهم من البلاء جراء نقص النيل أو مجرد الإشاعة بنقصه حيث كان يسود الرعب ويعم البلاء بين الناس والتجار على حد سواء⁸.

أما عن الحالة الثقافية حدث ولا حرج فقد كان لأهل قوص شغف بالعلم مما بوأهم

1 الطالع السعيد، ص 18؛ المقرئى، الخطط المقرئية، ج1، القاهرة 1326هـ، ص 329.

2 الطالع السعيد، ص 39؛ المقرئى، الخطط، ج1، 328.

3 الطالع السعيد، ص 33.

4 الطالع السعيد، ص 297.

5 الطالع السعيد، ص 659.

6 الطالع السعيد، ص 613.

7 الطالع السعيد، ص 709.

8 الطالع السعيد، ص 527، 614.

مكانة مرموقة، فالغالب عليهم " العلم والفهم والدين والرياسة وحب العمارة " ¹، لذا ليس بغريب أن تنتشر دور العلم المتنوعة بها، فبالنسبة للمدارس وجد بقوص ما يزيد على ستة عشرة مدرسة، أورد الأدفوى أسائها بمعرض حديثه عن تراجمه التي تلقت العلم داخل جدرانها ²، ثم انتشرت لتعم الإقليم كله فانتشرت في أسنا وأسوان والأقصر وأرمنت وقنا وهو وقمولا وغيرها خاصة وأنها كانت تستخدم مقرأ لإقامة الطلبة ³.

كما انتشرت الجوامع والمساجد والكتاتيب بالإقليم وحظيت برعاية واهتمام الحكام، ولم تقتصر على التعليم الدينى بل كانت بمثابة جامعة لمختلف العلوم، بدءاً من تعليم الأطفال القراءة والكتابة وحفظ قصار السور من القرآن الكريم، إلى تمكن الصبى من علوم الفقه - خاصة الشافعى والمالكى - وعلوم التفسير والقراءات، ناهيك عن القسط الوافر من علوم الأوائل الدنيوية مثل الطب ⁴ والرياضيات والحساب ⁵ والفلسفة ⁶ والهندسة ⁷، فيحدثنا مثلاً عن المناظرات العلمية والمحاورات الدينية التي كانت تدور بين العلماء المصريين والصلبيين إبان العصر الأيوبي بما ينم عن ازدهار التيار العقلانى، مبرزاً نبوغ أحد أعلام الصعيد فى التصدى لجميع " أسئلة " الأنبرور " صاحب صقلية فى مجال الحكمة والرياضيات " ⁸ ولا غرو فى ذلك فغالباً ما كان يلحق بدور العلم - سابقة الذكر - خزائن للكتب تحوى آلاف المجلدات فى كافة صنوف المعرفة من فقه وتاريخ ومعاجم وتفسير وطب وفلك وحساب وغيرها، ساعد على ازدهارها انتشار أسواق الوراقة والوراقين بالإقليم لبيع كل ما طالته أيديهم من عمل النساخ والمجلدين القائمين على نسخ الكتب وتجليدها ⁹.

- 1 الطالع السعيد، ص 29.
- 2 الطالع السعيد، صفحات 44، 49، 297، 333، 408، 414، 421، 489، 510، 684 على سبيل المثال لا الحصر.
- 3 الطالع السعيد، صفحات 161، 209، 221، 260، 284، 330، 358، 370، 391، 399، 455، 459، 491، 670 على سبيل المثال لا الحصر.
- 4 الطالع السعيد، صفحات 157، 186، 230، 418، 447، 515، 603، 657.
- 5 الطالع السعيد، ص 469، 601، 734.
- 6 الطالع السعيد، ص 330.
- 7 الطالع السعيد، ص 478.
- 8 الطالع السعيد، ص 470؛ عبد اللطيف حزة، الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبي والمملوكى الأول، ط2، القاهرة 1999، ص 152 - 153.
- 9 الطالع السعيد، ص 576، 601.

ويبدو واضحاً من تراجم الأدفوى في كتابه "الطالع السعيد" أنهم يمتنون بصلة إلى جذور القبائل العربية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية واستوطنت أرض مصر وتفرقت بها، فمن هؤلاء من يرجع بجذوره لقبيلة بنى هاشم (العدنانيون) الذين استوطنوا بلاد الحجاز ومنها بنى سهم¹ وبنى مخزوم² وبنى زهرة³ وبنى ربيعة⁴ وبنى شيان⁵ وبنى تميم⁶ وبنى جميلة⁷ وبنى ثعلبة⁸ وبنى النضر⁹ وهذيل¹⁰، ومنهم من يرجع بأصوله إلى القبائل القحطانية ببلاد اليمن ومنها بنو جذام¹¹ وبنو كندة¹² وتنوخ¹³ ولخم¹⁴ وبنو النخع¹⁵ والأنصار¹⁶ من جذور قبيلتي الأوس والخزرج.

المرجعية التاريخية:

تمكن الأدفوى بما له من ثقافة عريضة وصلات متعددة من جمع مادته العلمية في "الطالع السعيد" والتي كانت ثرية إلى حد كبير، ساعده على ذلك كونه عنصراً مشاركاً في صنع أحداثها، مشاهداً لها عن قرب، مما غلف رواياته التاريخية بطابع الصدق والدقة مصوراً إياها بألوانها الحقيقية باعتبار أن المعاصرة تمكن المؤرخ من الاستفادة بما لديه من وسائل متعددة لجمع مادته العلمية، وعلى الجانب الآخر ينبغى مراعاة الحذر بصدد

- 1 الطالع السعيد، ص 443.
- 2 الطالع السعيد، ص 359، 712.
- 3 الطالع السعيد، ص 627.
- 4 الطالع السعيد، ص 436.
- 5 الطالع السعيد، ص 636.
- 6 الطالع السعيد، ص 289، 345.
- 7 الطالع السعيد، ص 232 - 233.
- 8 الطالع السعيد، ص 207.
- 9 الطالع السعيد، ص 407، 413.
- 10 الطالع السعيد، ص 223.
- 11 الطالع السعيد، ص 245.
- 12 الطالع السعيد، صفحات 488، 522، 622.
- 13 الطالع السعيد، ص 286، 725.
- 14 الطالع السعيد، ص 480.
- 15 الطالع السعيد، ص 294، 531، 643.
- 16 الطالع السعيد، ص 157، 266، 487.

معاصرة المؤرخ للأحداث فقد تكون ستاراً يمنع المؤرخ من قول الحقيقة ويقع في براثن المجاملة والبعد عن العدالة وتفرض به إلى الإغضاء عن الهفوات وتسكت لسانه عن النقد النزيه.

ويمكن تقسيم المصادر والمطان التي اعتمد عليها في بناء مؤلفه إلى مصادر شفوية ومشاهدات عيانية استمدتها من خلال مشاركته بنفسه في أحداث عصره، أو من أشخاص آخرين كانت لهم صلة بتراجمه وغير عرضة للشك كأقارب الشعراء من الأبناء والآباء، أو عن طريق تلاميذهم أو شيوخهم، ناقلاً عنهم بالسماع والمساءلة، بالإضافة إلى التعاليق والخطوط التي اطلع عليها وذيل بالهوامش على جانبيها، والوثائق المتنوعة التي ضمنها مؤلفه، ناهيك عن نقله من مؤلفات السابقين والمعاصرين له.

أولاً: المتشافهات والمتشاهدات العيانية:-

تتطلب من المؤرخ جهداً جهيداً لتدوين ما شاهده أو سمع به أو اطلع عليه من الوثائق أو تلقاه بطريقة مباشرة وغير مباشرة من معاصريه، ناهيك عن تجشمه عناء التجوال بين البلاد - كما في حالة الأدفوى - لتتبع تاريخ من يتناولهم بالحديث في مصنفه، ويمكن تقسيم مصادر المعلومات الشفهية والعينية التي اعتمد عليها بصدد تراجمه كالتى:

(1) مشافهات ومشاهدات مع أصحاب التراجم:

من بين ما يقارب ستائة ترجمة في " الطالع السعيد "، أمدا الأدفوى بما ينيف على مائة وعشرة منهم زودوه بالمعلومات الشفهية وجهاً لوجه، مشاركاً إياهم في صنع تاريخهم بما تربطه بهم من علاقات شخصية، فأضحى بعضهم من أهله وأقاربه، وأكثرهم من أصحابه، ونادراً من شيوخه، وجلهم شغل وظائف مرموقة في الدولة المملوكية وشاركوا في صنع أحداثها السياسية والثقافية، وبعضهم كان من أكابر أعيان بلدان المترجم لهم بين ثانيا مؤلفه، مصرحاً بإثبات مشافهاته ورؤيته العينية، كأقواله: "اجتمعت به"¹، و" رأيت في الشتاء مرات"²، و" حضر معنا الدرس سنين"³، و" اشتغلت عليه وصحبته سنين "⁴،

1 الطالع السعيد، ص 53.

2 الطالع السعيد، ص 60.

3 الطالع السعيد، ص 109.

4 الطالع السعيد، ص 168.

130 _____ الأدفوى وكتابه "الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد"
و "كذا أملاني نسبه" ¹، و "كان بيننا وبينه صحبة كبيرة" ²، و "حكى لي أنه" ³، و "قال لي
في آخر عمره" ⁴.

(2) مشافهات مع أهل وأقارب المترجم لهم:

اعتمد الأدفوى على كل من يخص أقارب المترجم لهم ضامناً لصحة
الأخبار وتوكيدها، فلم يعدم وسيلة أن ينهل من الآباء والأبناء والأحفاد وأبناء الأخ
وأبناء العم، وتباينت مشافهاته بينهم زيادة ونقصاناً في عدد مرات النقل (انظر
الجدول رقم 1)، مشيراً في معرض حديثه بأقواله عنهم: "أنشدني ابنه" ⁵، "فيما أخبرني
به ابنه" ⁶، "أخبرني ابن أخيه" ⁷، "أخبرني ابن عمه" ⁸، "ذكر لي أخوه" ⁹، "أنشدني
حفيدة" ¹⁰، "فيما أخبرني به أبوه" ¹¹، "أخبرني بعض أقاربه" ¹²، "أخبرني جماعة من
أهله" ¹³.

1 الطالع السعيد، ص 192.

2 الطالع السعيد، ص 270.

3 الطالع السعيد، ص 358.

4 الطالع السعيد، ص 731، وانظر أيضاً في نفس المعنى على سبيل المثال لا الحصر صفحات 63، 70،
102-103، 125، 157، 164، 207، 210، 216، 224، 241، 254، 269، 290، 296، 310، 313،

318، 323، 332، 334، 339، 341، 347، 350، 365، 400، 422، 506.

5 الطالع السعيد، ص 74.

6 الطالع السعيد، ص 255.

7 الطالع السعيد، ص 52.

8 الطالع السعيد، ص 109.

9 الطالع السعيد، ص 242.

10 الطالع السعيد، ص 235.

11 الطالع السعيد، ص 241.

12 الطالع السعيد، ص 272.

13 الطالع السعيد، ص 624. وانظر أيضاً عن مشافهاته مع أقارب تراجمه على سبيل المثال لا الحصر
صفحات: 66، 103، 146، 171، 172، 212، 254، 292، 299، 403، 457، 518، 523، 531، 623،

638، 686، 705، 708، 736.

(جدول رقم 2) ترتيب تنازلي لمشافهاته مع بعض أسماء عصره

عدد المشافهات	صلة القرابة بالترجم له
36	الأبناء
8	الأحفاد
5	ابن الأخ
5	الأقارب والأهل
2	الأب
2	ابن العم
واحدة	الأخ

(3) مشافهات أصحابه وشيوخه ممن لهم علاقة بصاحب الترجمة مع ذكر أسمائهم:

تحدث الأذفوى مشافهة مع ما ينيف على المائة شخص ذاكراً أسمائهم ووظائفهم قدر الإمكان والبلدان المتسبين إليها، وترجم لبعضهم بين ثانيا مصنفه، وهى تبرز بجلاء تجواله بين بلاد الصعيد جلها، وبعض مدن الوجه البحرى مثل الإسكندرية والقليوبية، معتمداً على المصادر الأساسية من كل بلد لإمداده بالمعلومات اللازمة سواء كانت تاريخية أو فقهية أو طاغية كالنصوص الشعرية، فنراه يستمد من شرائح متعددة فى المجتمع مثل القضاة والفقهاء وأكابر العدول والأدباء وبعض أهالى بلدان الصعيد، ناهيك عن نيل النساء حظاً من تلك المشافهات بيد أنه اعتمد كلية من بين تلك الأسماء على أسماء أساسية كانت سنداً له فى استقاء المعلومات مضيفاً عليهم "الثقة فى أخبارهم"، فمن أحد مصادره من هو "ثبت فيما ينقله ويرويه" ¹، لذا تفاوتت درجة اعتياده عليهم زيادة ونقصاناً فى عدد المشافهات. كما هو موضح بالجدول الآتى والذى اعتمد فيه على بعض الأسماء الثقات فى نقل الأخبار:

عدد مرات المشافهة	اسم صاحب المشافهة
18	شيخه أثير الدين أبو حيان
15	ضياء الدين منتصر خطيب أدفو
12	كمال الدين بن شيخه تاج الدين الدشناوى
10	شيخه تاج الدين الدشناوى
9	القاضى علاء الدين الأسفونى
9	القاضى سراج الدين الأرمتمى

أما باقى مشافهاته مع بقية الأسماء فقد اعتمد عليها بدرجة محدودة فالبعض نقل منه إشارتين أو ثلاث، والبعض الآخر - وهم كثرة - شافهم مرة واحدة، وتكاد تكون مشافهاته للشعر والأدب أقرب، حريصاً منها أيضاً على ذكر تاريخ المولد والوفاة لمن يترجم له.

(4) مشافهات شيوخه وأصحابه ممن لهم طلة بصاحب الترجمة دون ذكر أسمائهم:

أضف إلى ما سبق كوكبه من أصحابه المنتشرين بالبلدان والأقاليم المصرية استقى منهم مادته العلمية عن بعض تراجمه دون أن يذكر أسماءهم صراحة، مكتفياً بذكر نسبتهم لبلدهم أحياناً، غافلاً عن ذلك أحيان أخرى كثيرة، وقد شملت طوائف عدة منها بعض عدول الأقصر وبعض الأرامنة وبعض أهالى قوص وأسنا وأدفو والبهنسا¹ رجع إليهم فيما ينيف على خمس وأربعين مرة²، مثبتاً ذلك بأقواله: "حكى لى جماعة من أصحابنا الفقهاء الأسنائية"³، "أخبرنى به بعض أصحابنا بالقاهرة"⁴، "أنشدنى له بعض أصحابنا بقوص"⁵، "حكى لى بعض العدول بالأقصر"⁶، "أخبرنى به بعض الأرامنة"⁷.

1 الطالع السعيد، صفحات: 95، 136، 146، 212، 244، 334، 428، 509، 512، 538، 624، 630 على سبيل المثال لا الحصر.
2 الطالع السعيد، ص 53.
3 الطالع السعيد، ص 93.
4 الطالع السعيد، ص 505.
5 الطالع السعيد، ص 177.
6 الطالع السعيد، ص 419.

"أخبرني بعض عدول البهنا " ¹، " أخبرني به عدول أرمنت " ²، أو مكتفياً فقط بـ "ذكر لي جماعة " ³، حريصاً قدر الإمكان على تنبيه القارئ بأنهم " من أصحابنا الثقات " ⁴، أو أن تلك الرواية ذكرها " بعض أصحابنا ممن لا أتهمه بكذب " ⁵.

(5) مشافهات من طلاب صاحب الترجمة:

كما لم ينس الأدفوى طلاب العلم وتلامذة الشيوخ ممن ترجم لهم فكانوا أحد المصادر الشفهية والعينية التي اعتمد عليها لبناء مادته العلمية، ذاكراً أسماء بعضهم أحياناً، غافلاً عنهم أحياناً أخرى، مشيراً لذلك بأقواله: " حكى عنه تلميذه (فلان) " ⁶، و " على ما أخبرني به بعض طلبته بقوص " ⁷.

تانياً: التعاليق والخطوط:

التقى الأدفوى بكثير من القضاة والفقهاء والشعراء والأدباء المعاصرين له وتلقى منهم أشعاراً مدونة أعدها له أصحابها بخطهم ونقلها عنهم كما هي فأحدهم " له ترسل جمع منه مجلدة وقفت عليها " ⁸، وثان له مسودات لم تر النور و " لم يبيض منها إلا القليل، ونقلت من المسودة في هذا الكتاب مواضع نقلتها من خطه " ⁹، وثالث " وقفت على ديوانه " ¹⁰، ورابع " وقفت أنا على رسالته وهي تدل على جودة معرفته بالفقه والنحو واللغة " ¹¹، ناهيك عن اعترافه من مؤلفات شيوخه التي اطلع عليها مثبتاً ذلك بقوله مراراً: " قرأت بخط الشيخ (فلان) " ¹².

1 الطالع السعيد، ص 542.

2 الطالع السعيد، ص 735.

3 الطالع السعيد، صفحات 177، 361، 695.

4 الطالع السعيد، ص 550.

5 الطالع السعيد، ص 331.

6 الطالع السعيد، ص 430.

7 الطالع السعيد، ص 570، وفي نفس المعنى انظر صفحات: 204، 434، 435 على سبيل المثال.

8 الطالع السعيد، ص 114.

9 الطالع السعيد، ص 46.

10 الطالع السعيد، ص 414.

11 الطالع السعيد، ص 98.

12 الطالع السعيد، ص 89، 148.

أضف إلى ذلك حرصه على جمع كل التعاليق والخطوط الخاصة بالسابقين الذين ترجم لهم بين ثنايا كتابه، ساعده على ذلك وقوع الكثير من مصنفات الأولين بحوزته مما أتاح له الاطلاع عليها وعلى هوامشها وتعليقاتها مقرأً ذلك في كثير من المواضع من قبيل: "رأيت خطه على مجلدات من تاريخ دمشق للحافظ بن عساكر"، و"رأيت خطه على كتبه قد حشاها بحاشية مفيدة" و"رأيت بخطه أيضاً الأذكار للنووي وعليه هوامش له حسنة"¹، و"رأيت على حاشية مختصر الجنان للحافظ الرشيد بن الزكي"²، مضافاً طابع الثقة والدقة ممن نقل عنهم كقوله مثلاً: "وجد بخط ثقة من الأسنائية"³.

هذا وجاءت التعاليق والخطوط متنوعة الأغراض والمناسبات، فاهتم مثلاً بإيراد محاضر مجالس العلم والسماع للمترجم لهم على أيدي شيوخهم كأن يقول مثلاً "رأيت سماعه على الحافظ المنذرى في سنة ستمائة وأربع وخمسين بخط ابن الفقاعى"⁴، كما اهتم بإيراد الإجازات التي حصل عليها أصحاب تراجمه من شيوخهم مثل قوله: "رأيت مكتوب عدالته ومحضر تزكيته والثناء عليه بالاشتغال بالعلم والاتصاف بصفات العدالة وفيه خط جمع كبير بالشهادة له بذلك"⁵. أضف إلى ما سبق محاضر تقليد الوظائف مثل أقواله: "وقفت على تقليده الحكم من الشيخ (فلان) مؤرخ بسنة ستمائة وتسع وأربعون"⁶، و"رأيت إثباتاً عليه في سنة ستمائة واثنين وعشرين بأنه حاكم أدفو وأسنا وأسفون"⁷، بيد أنه في مؤلفه لم يعدم وسيلة في البحث عن تواريخ الميلاد والوفاة للمترجم لهم فدأب على ذكرها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، مؤكداً مراراً على رؤيته للتاريخ بخط فلان"⁸.

1 الطالع السعيد، ص 273.

2 الطالع السعيد، ص 558.

3 الطالع السعيد، ص 269.

4 الطالع السعيد، ص 58، وانظر في هذا المعنى على سبيل المثال صفحات 68، 215، 253، 350، 383، 521، 665.

5 الطالع السعيد، ص 253، وانظر في هذا المعنى أيضاً صفحات 308، 357، 393، 433، 443، 556، 719.

6 الطالع السعيد، ص 381.

7 الطالع السعيد، ص 176.

8 الطالع السعيد، ص 130، 443.

تالتاً: الوثائق:-

أما عن الجانب الوثائقي في مؤلف الأدفوى فكان شحيحاً جداً، وإن لم يخلو من أهمية، فبين ثنايا " الطالع السعيد " نجد رسائل متبادلة بين كبار الشيوخ في نهج البلاغة ليأتسى بها الطلاب¹، ومسائل وأجوبة فقهية موجهة للشيوخ من تلامذتهم²، ونماذج عدة على قدر من الأهمية خاصة بإجازات وتوقعات طلاب ذلك العصر والتي تتيح لهم نيل حق التدريس في دور العلم³، ناهيك عن ذكره نصوصاً من رسائل النصيح والإرشاد الموجهة من قضاة ذلك العصر قوامها نصيح الحكام ونوابهم وترشيد رعيته ببلاد الصعيد⁴، أو حجة وقف مخصصة لأحد دور علم الحديث بقوص⁵، كما أورد أنموذجاً فريداً لقصة مظالم⁶.

كما لم ينس وثائق النقوش على الأحجار، لما لها من أهمية قصوى فقد تتطابق مع المعلومات الواردة بين ثنايا المصادر الكتابية أو تقلبها رأساً على عقب، بيد أنها اقتصرنا في " الطالع " على ذكر تواريخ وفيات تراجمه وأنسابهم فقط، فهذا " نقلت وفاته من لوح على قبره " ⁷، وذاك " قرأت نسبه ووفاته من لوح بالكوفي على قبره " ⁸، وإن لم يخلو من أهمية حيث تبرز لنا معلومات عن استخدام الخط الكوفي وانتشاره على شواهد القبور إبان تلك الفترة المملوكية.

رابعاً: المؤلفات السابقة:-

اعتمد الأدفوى على مكتبة ضخمة قيمة من المؤلفات السابقة، زادت قيمتها بعد أن أضحي كثير منها في عداد الضياع والفقدان، ويمكن حصر تلك المؤلفات التي اعتمد عليها في الجدول التالي:

1 الطالع السعيد، ص 114 - 115.

2 الطالع السعيد، ص 741.

3 الطالع السعيد، ص 433، 478.

4 الطالع السعيد، ص 597.

5 الطالع السعيد، ص 137.

6 الطالع السعيد، ص 430 - 431.

7 الطالع السعيد، ص 423.

8 الطالع السعيد، ص 474.

(جدول رقم 3)

عدد مرات النقل	المصدر	عدد مرات النقل	المصدر
12	الحافظ الديماطى	51	ابن عبد النور
10	ابن الطحان	32	المنذرى
7	القفطى	22	ابن شمس الخلافة
7	البرزالى	17	ابن الحلبي
6	ابن ميسر	17	ابن سعيد
6	ابن الزبير	16	ابن يونس
5	الكتاني	15	العماد الأصبهاني
4	ابن مسدى	13	ابن عرام
4	ابن خلكان	12	ابن نوح القوصى
4	ابن حوقل	12	السعدى
4	ابن جلب راغب		

ونقل بالإشارة مرة واحدة لكل من:

(جدول رقم 4)

ابن مرزوق	ابن زيد الحافظ	الحافظ بن الجوزى	بن شاكرا الحموى
الكنجى	صاحب نزهة الخدق	ابن باطيش	أبو شامة
ابن بشكوال	وشفاء الأرق	الداني	صاحب المحيط
ابن نقطة	ابن واصل	ياقوت الحموى	صاحب الذخيرة
ابن عدي	أبو الفدا	الرشاطى	ابن النجار
ابن عبد البر	الخزرجى	الوخشى	الصفى
أبو هلال العسكري	ابن زولاق	البيهقي	

ويتبين من جداول المصادر التى نقل منها الأذفوى أنه اعتمد على مصادر جمة فى شتى علوم عصره، فاعتمد على كتب الجغرافيا والتاريخ والأنساب والتراجم والأدب والفقه وغيرها، عد بعضها تحت طائلة الضياع والفقدان، ولم يبق منها إلا ما ذكره الأذفوى

ولاحقوه بين طيات مؤلفاتهم عن عناوين تلك المؤلفات تارة، وأسماء مؤلفيها تارة أخرى، بيد أنه تباين في نقله من مصدر لآخر في عدد مرات النقل وفقاً لما يخدم مادته العلمية لتراجمه، وسنحاول أن نلقى بعض الضوء على المصادر التي اعتمد عليها وفقاً لترتيب تنازلي من المصدر الأكثر في عدد مرات النقل وهي كالآتي:

✽ ابن عبد النور (قطب الدين بن عبد الكريم الحلبي ت 735هـ).

نقل الأذفوى من تاريخه "الذي صنفه في ذكر مصر وأهلها ومن ورد عليها" ¹، ونعته اختصاراً فيما بعد بـ "تاريخ مصر" ² وهو مرتب على الأسماء في بضع عشرة مجلداً.

✽ المنذرى (عبد العظيم بن عبد القوى الحافظ زكى الدين ت 656هـ).

صنف كتاب "التكملة في وفيات النقلة" ذيل به على وفيات ابن المفضل، وكتاب "المعجم المترجم" نهل منهما الأذفوى كثيراً، ذاكراً إياهما بـ "الوفيات" و "معجمه" ³. بيد أن له مصنفات أخرى في "تاريخ مصر" ⁴ نقل منه أيضاً.

✽ ابن شمس الخلافة (مجد الملك أبو الفضل جعفر).

نقل عنه الأذفوى من كتابه "الأرج الشائق إلى كرم الخلائق"، وذكر أنه كان بحوزته بأسنايد أن غلافه كان مفقوداً، فظل يسأل عن صاحبه حتى أخبره أهلها بذلك، وهو سيرة خاصة بسراج الدين جعفر أحد أعيان أسنا، تحوى لقيفاً من الشعراء والأدباء الذين نسجوا قصائد المدح فيه ⁵.

✽ ابن سعيد (على بن موسى بن محمد الغرناطى ت 685هـ).

رحالة طاف بين البلاد وزار مصر والشام وبغداد وبصره ثم الحرمين ورجع إلى إفريقية وسكن تونس. رجع الأذفوى إلى العديد من مؤلفاته مثل كتاب "الأقحوان" ⁶ منوهاً في

1 الطالع السعيد، ص 46.

2 الطالع السعيد، صفحات: 79، 137، 266، 501 على سبيل المثال لا الحصر.

3 الطالع السعيد، ص 276، 299.

4 الطالع السعيد، ص 64.

5 الطالع السعيد، ص 37، 47.

6 الطالع السعيد، ص 34.

الوقت نفسه أنه صنف تاريخاً كبيراً من عدة أجزاء، وهو "المغرب في حلى المغرب" ¹، رجع إلى بعضها، فنقل من "الحظ الأسنى في حلى مدينة أسنا"، و "معاشرة من يصفو في حلى أدفو" ².

* ابن الحلبي (الشريف عز الدين أحمد الحسيني العلوى ت695هـ).

نقيب الأشراف بمصر، له كتاب وفيات الشيوخ ذيل به على وفيات شيخه المنذرى، ونقل منه الأدفوى مشيراً إليه بـ " وفياته " ³ ويبدو واضحاً أنه عبارة عن تراجم لوفيات عصره.

* ابن يونس (عبد الرحمن بن أحمد).

صنف كتاباً في " تاريخ مصر " ⁴ نقل منه الأدفوى كثيراً.

* ابن العماد الأصبهاني (محمد بن أبى الفرج محمد ت579هـ).

رجع الأدفوى إلى كتابه " خريدة القصر وجريدة أهل العصر في ذيل الدمية "، ونقل منه تراجم بعض شعراء الصعيد في القرن السادس الهجرى، مختصراً إياه بقوله: " قال العماد في الخريدة " ⁵.

* ابن عرام (أبو الحسن على بن أحمد الربعى).

ترجم له الأدفوى في " الطالع "، ونهل من مؤلفه عن " سيرة بنى الكنز " كل ما يتعلق بقصائد المدح التى مدح بها تلك الأسرة بصعيد مصر ⁶.

* ابن نوح القوصى (عبد الغفار بن أحمد بن عبد المجيد ت708هـ).

صنف كتاب " الوحيد في سلوك أهل التوحيد والتصديق والإيمان بأولياء الله تعالى في كل زمان في مجلدين، وترجم له الأدفوى في " الطالع "، والتقى به كثيراً وسمع منه،

1 الطالع السعيد، ص 101، 201، 387، 406، 678.

2 الطالع السعيد، صفحات: 306، 392، 463، 565.

3 الطالع السعيد، ص 159، 282، 296، 390، 461، 536، 633.

4 الطالع السعيد صفحات: 174، 219، 467، 469، 543، 634، 648، 689.

5 الطالع السعيد، صفحات: 99، 194، 257، 369، 371، 391، 405، 408، 410، 411، 659.

6 الطالع السعيد، صفحات: 65، 128، 130، 202، 256، 277، 409، 520.

واقترس من مؤلفه كثيراً، بيد أنه لم يشر إلى عنوانه، مكتفياً بقوله: "ذكره الشيخ عبد الغفار ابن نوح في كتابه" ¹.

※ السعدى (تاج الدين عبد الغفار بن عبد الكافى).

صنف معجماً ضخماً لشيوخه فى ثلاثة مجلدات، نقل منه الأدفوى كثيراً، وإن لم يذكر عنوانه كاملاً مشيراً إليه بقوله: " ذكر تاج الدين عبد الغفار فى معجمه " أو " فى معجم شيوخه " ².

※ الدمياطى (الحافظ عبد المؤمن بن خلف ت 705 هـ).

صنف كتاب " معجم الشيوخ " نقل منه الأدفوى دون الإشارة إلى عنوان مؤلفه كاملاً قائلاً: " وقد ذكره الشيخ شرف الدين فى مشيخته " ³.

※ ابن الطحان (أبو القاسم يحيى بن على الحضرمى ت 416 هـ).

رجع إليه الأدفوى دون ذكر عنوانه قائلاً: " ذكره أبو القاسم الطحان فى وفياته " ⁴، ويبدو واضحاً أنه فى تراجم لوفيات عصره.

※ القفطى (أبو الحسن على بن إبراهيم ت 646 هـ).

ترجم له الأدفوى فى " الطالع "، ورجع إلى مؤلفه " إنباه الرواة فى أنباه النحاة "، أو كما أطلق عليه " كتاب تاريخ النحاة " ⁵، ونقل منه إشارات عديدة.

※ البرزالى (أبو عبد الله محمد بن يوسف ت 636 هـ).

صنف كتاب " المعجم الكبير فى الشيوخ "، أشار إليه الأدفوى فى بضع مرات دون أن يذكر اسم مؤلفه، مكتفياً فقط بقوله: " وقد ذكره البرزالى " و " أجاز الشيخ البرزالى وذكره فى تاريخه " ⁶.

1 الطالع السعيد، صفحات: 134، 145، 177، 186، 326، 435، 723.

2 الطالع السعيد، صفحات: 178، 282، 522.

3 الطالع السعيد، ص 690.

4 الطالع السعيد، ص 637.

5 الطالع السعيد، صفحات: 263، 267، 268، 365، 437، 479، 554.

6 الطالع السعيد، صفحات: 76، 78، 125، 359، 386، 390، 405.

※ ابن ميسر

نقل عنه الأدفوى من كتابه الذى وضعه فى تاريخ مصر، بيد أنه لم يذكر عنوانه، مكتفياً بقوله: "فيا ذكره ابن ميسر فى تاريخه"¹.

※ ابن الزبير (أحمد بن على بن إبراهيم بن على ت 563 هـ).

ترجم له الأدفوى فى "الطالع"، ورجع إلى كتابه "الجنان ورياض الأذهان" الذى ذيل به على "يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر" للثعالبي، ونقل منه عدة إشارات².

※ الكتانى (أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد التميمي ت 466 هـ).

صنف كتاب "وفيات النقلة" نقل عنه الأدفوى بضع إشارات دون ذكر عنوانه كاملاً، مكتفياً بقوله: "الذى رأيته فى وفيات عبد العزيز الكتانى" و"ذكره عبد العزيز الكتانى"³.

※ ابن خلكان (أحمد بن محمد بن إبراهيم ت 681 هـ).

اعتمد الأدفوى على مؤلفه فى التاريخ والتراجم "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، دون أن يذكر اسمه صراحة، ونقل منه بضع إشارات، منوهاً لذلك بقوله: "ذكره ابن خلكان"⁴.

※ ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن على البغدادى الموصلى ت بعد 367 هـ).

اعتمد عليه الأدفوى فى مقدمة كتابه التى استهلها بوصف طبوغرافية إقليم قوص، ونقل عنه بعض الإشارات من مؤلفه "المسالك والممالك والمفاوز والمهالك"، بيد أنه قام بتبديل عنوانه فجعله "المهالك والمسالك"⁵.

1 الطالع السعيد، صفحات: 207، 406، 407، 567، 704.

2 الطالع السعيد، صفحات: 277، 407، 558، 565.

3 الطالع السعيد، ص 220.

4 الطالع السعيد، صفحات: 100، 353، 470.

5 الطالع السعيد، صفحات: 24، 25، 34، 44.

✽ ابن جلب راغب (محمد بن علي بن يوسف).

صنف مؤلفاً في تاريخ مصر أشار إليه الأدقوى ونقل منه بضع مرات مشيراً إليه بقوله " ذكره بن جلب راغب في تاريخه " و " ذكره بن جلب راغب في تاريخ مصر " ¹.

✽ ابن مسدى (أبو بكر جمال الدين محمد بن يوسف الأزدي ت 663 هـ).

رجع إليه الأدقوى بضع مرات دون الإشارة إلى عنوان مصنفه، مشيراً إليه بقوله: " ذكره ابن مسدى " ².

✽ المتفلوطى (علم الدين إسماعيل بن جعفر ت 652 هـ).

ترجم له الأدقوى في " الطالع "، ودأب على زيارة قبره باستمرار، ورجع إلى بعض رسائله واقتبس منها، مشيراً لذلك بقوله: " ذكر ذلك الشيخ علم الدين المتفلوطى في رسالته " ³.

✽ ابن ماكولا (أبو نصر علي بن هبة الله علي بن جعفر ت 475 هـ).

نقل الأدقوى من مؤلفه " الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب "، مكتفياً بذكر " الإكمال " ⁴، وهو مرتب على حروف المعجم.

✽ الحافظ العطار (أبو الحسين يحيى بن علي المصري ت 662 هـ).

نقل الأدقوى من مؤلفه بضع إشارات، ويبدو واضحاً من قوله: " هكذا رأيت في "وفيات" الشيخ رشيد الدين " ⁵ إنه ترجم لوفيات عصره مرتبة على حروف المعجم.

✽ الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف ت 358 هـ).

صنف مؤلفات في خطط مصر وفنائها وقضاها، بيد أن الأدقوى رجع إليه في " كتابه عن الموالي " ⁶ في إشارتين دون أن يذكر عنوانه كاملاً.

1 الطالع السعيد، صفحات: 46، 145، 222.

2 الطالع السعيد، ص 252، 356.

3 الطالع السعيد، ص 156، 302.

4 الطالع السعيد، صفحات: 467، 469، 637.

5 الطالع السعيد، صفحات: 710، 711، 715.

6 الطالع السعيد، ص 145.

- * ابن عساكر (على بن أبى محمد الحسن بن هبة الله بن عبد الله ت 571 هـ).
نقل عنه الأدفوى إشارتين من موسوعته " تاريخ دمشق "، والذي يبدو أنه كان بحوزته حيث اطلع على حواشى وتعليقات تخص أحد تراجمه مدونة عليه ¹.
* ابن أبى الصلت (أمية بن عبد العزيز الاشبيلي الدانى ت سنة 529).
صنف مؤلفات منها " ديوان الرسائل " اطلع الأدفوى على بعض منها ونقل منها إشارتين، مقرأً ذلك بقوله: " وأثبتته أمية بن أبى الصلت فى رسالته " ².
* المقدسى (الحافظ على بن المفضل).
اعتمد الأدفوى على مؤلفه فى تراجم الوفيات ونقل منه إشارتين، مشيراً لذلك بقوله: (قال الحافظ على بن المفضل المقدسى فى " وفياته ") ³.
* ابن الشعار (المبارك بن أبى بكر بن حمدان الموصلى ت 654 هـ).
اطلع الأدفوى على مؤلفه " عقود الجمان فى شعراء الزمان "، ونقل عنه إشارتين لبعض شعراء القرن السابع الهجرى ⁴.
* السمعانى (عبد الكريم بن أبى بكر محمد بن المنصور بن محمد ت 562 هـ).
ارتكز عليه الأدفوى فى نسبة الأشخاص والمدن، بيد أنه لم يذكر عنوان مؤلفه "الأنساب"، مكتفياً بقوله: " ضبطها السمعانى " و " ذكره السمعانى " ⁵.
* العسكرى (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل البغدادى ت 395 هـ).
رجع إليه الأدفوى مرة واحدة فى كتابه " الصنائع " ⁶.
* ابن زولاق (الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن على المصرى ت 387 هـ).

1 الطالع السعيد، ص 221، 273.

2 الطالع السعيد، ص 406، 413.

3 الطالع السعيد، ص 672.

4 الطالع السعيد، ص 676، 677.

5 الطالع السعيد، ص 48، 637.

6 الطالع السعيد، ص 34.

صنف مؤلفات كثيرة في فضائل مصر وخططها وأخبار قضاتها وسير بعض حكامها، نقل الأدفوى من مؤلفه " الموازنة بين مصر وبغداد في العلم والعلماء والخيرات " مرة واحدة دون أن يشر إلى عنوانه مكتفياً باسمه فقط ¹.

※ البيهقي (أبو اسحق).

رجع الأدفوى إليه مرة واحدة بصدد ذكره جغرافية إقليم قوص دون أن يذكر عنوان مؤلفه ².

※ أبو الفدا (الملك المؤيد إسماعيل بن علي محمد بن شاهنشاه ت 732 هـ).

نقل الأدفوى من تاريخه " المختصر في أخبار البشر " إشارة واحدة دون أن يذكر اسمه صراحة، معبراً عن ذلك بقوله: " صاحب حماه في تاريخه " أخبار البشر " ³.

※ ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله الحموي ت 697 هـ).

رجع الأدفوى إلى مؤلفه " مفرج الكروب في أخبار بني أيوب " مرة واحدة، ناعثاً إياه بقوله: " ذكره ابن واصل في " أخبار بني أيوب " ⁴.

※ الخزرجي (علي بن صادق بن علي).

رجع الأدفوى إليه مرة واحدة في كتابه الذي رتبته على حروف المعجم دون أن يذكر عنوانه، بيد أنه ذكر مقدمته التي خصها بمديح أحد الفقهاء، واقتبس منها جزءاً كبيراً ⁵.

※ الكنجي (أبو عبد الله محمد بن يوسف الشافعي ت سنة 658 هـ).

رجع إليه الأدفوى مرة واحدة في كتابه الذي صنّفه عن " تاريخ القدس " مشيراً إليه بقوله: " قال الكنجي في تاريخ القدس " ⁶.

※ أبو شامة (شهاب الدين أبو القاسم المقدسي الدمشقي الشافعي ت 665 هـ)

نقل عنه الأدفوى مرة واحدة من مؤلفه " الذيل على الروضتين " الذي ذيل به على

1 الطالع السعيد، ص 27.

2 الطالع السعيد، ص 29.

3 الطالع السعيد، ص 471.

4 الطالع السعيد، ص 471.

5 الطالع السعيد، ص 482.

6 الطالع السعيد، ص 356.

كتابه "الروضتين في أخبار الدولتين" وهو عبارة عن تراجم لبعض أعلام القرنين السادس والسابع الهجري، دون أن يشير إلى عنوانه، معبراً عن ذلك بقوله: "ذكره أبو شامة وغيره"¹.

* ابن الجوزي (الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن ت 597 هـ).
صنف مؤلفات جدّ كثيرة منها "كتاب الضعفاء والمتروكين" اعتمد عليه الأدفوى مرة واحدة في نسبة أحد تراجمه إلى أحد بلدان الصعيد، مشيراً إليه بقوله "الضعفاء"².
* مجهول.

نقل الأدفوى من كتابه "نزهة الخلق وشفاء الأرق" مرة واحدة دون أن يذكر اسم صاحبه³.

* ابن زير الحافظ.
نقل منه الأدفوى مرة واحدة دون أن يذكر عنوان مؤلفه، مشيراً إلى ذلك بقوله: "ذكره ابن زير"⁴.

* ابن مرزوق (أبو عمرو عثمان بن حميد بن سلامة نزيل مصر ت 564 هـ).
صنف كتاب "صفوة الصفوة" نقل منه الأدفوى مرة واحدة دون أن يذكر عنوان مؤلفه، معبراً عن ذلك بقوله: "ذكر ابن مرزوق أنه توفي سنة أربع وسبعين وثلاثمائة"⁵.
* الحموي (أبو عبد الله محمد بن شاکر).

اعتمد عليه الأدفوى مرة واحدة بصدد ترجمة أحد أعلامه دون ذكر عنوان مصنفه قائلاً: "قال أبو عبد الله محمد بن شاکر الحموي في مشيخته"⁶.

* ابن باطيش (إسماعيل بن هبة الله بن سعيد الموصلي ت 655 هـ).
صنف كتاب "طبقات الشافعية" نقل منه الأدفوى مرة واحدة دون أن يذكر عنوان مصنفه قائلاً: "ذكره أبو المجد إسماعيل بن هبة الله بن باطيش"⁷.

1 الطالع السعيد، ص 305.

2 الطالع السعيد، ص 286.

3 الطالع السعيد، ص 237.

4 الطالع السعيد، ص 145.

5 الطالع السعيد، ص 145.

6 الطالع السعيد، ص 101.

7 الطالع السعيد، ص 547.

- ✽ ابن خطيب الري (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن ت 606 هـ).
نقل الأذفوى من كتابه "محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين" مرة واحدة مختصراً عنوانه بقوله: "قال الإمام ابن الخطيب في "المحصل" ¹.
- ✽ ابن مازة (برهان الدين محمود بن تاج الدين أحمد البخاري الحنفي ت 616 هـ).
صنف العديد من المؤلفات الفقهية منها "المحيط البرهاني في الفقه النعماني" و"الذخيرة البرهانية" رجع إليهما الأذفوى مرة واحدة دون أن يشير إلى اسم مؤلفيهما قائلاً: "حكى صاحب المحيط من الحنفية" و"حكى صاحب الذخيرة" ².
- ✽ الصفي بن أبي منصور.
رجع إليه الأذفوى مرة واحدة دون أن يذكر عنوان مؤلفه قائلاً: "ذكره الصفي بن أبي منصور في كتابه" ³.
- ✽ ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود ت 578 هـ).
اعتمد الأذفوى على كتابه "الصلة" مرة واحدة دون أن يشير إلى عنوانه قائلاً: "قال الحافظ بن بشكوال" ⁴.
- ✽ ابن عبد البر (الحافظ جمال الدين أبو عمر يوسف الأديب 463 هـ).
نقل عنه الأذفوى من مؤلفه مرة واحدة دون أن يشير إلى عنوانه قائلاً: "قال ابن عبد البر" ⁵.
- ✽ ابن الحبال (أبو اسحق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله النعماني ت 482 هـ).
صنف كتاب "وفيات الشيوخ" أو "الوفيات" أشار إليه الأذفوى مرة واحدة دون أن يذكر عنوانه قائلاً: "ذكره أبو اسحق الحبال" ⁶.

1 الطالع السعيد، ص 650.

2 الطالع السعيد، ص 651.

3 الطالع السعيد، ص 726.

4 الطالع السعيد، ص 409.

5 الطالع السعيد، ص 469.

6 الطالع السعيد، ص 551.

※ الدانى (عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو ت 399 هـ).

نقل عنه الأدفوى مرة واحدة من مؤلفه "طبقات القراء" قائلاً: "ذكره الدانى فى طبقات القراء" ¹.

※ ابن القراب (أبو يعقوب اسحق بن إبراهيم بن محمد السرخسى ت 429 هـ).
رجع إليه الأدفوى مرة واحدة دون أن يذكر عنوان مؤلفه قائلاً: "ذكره أبو يعقوب إسحاق القراب" ².

※ ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومى الحموى ت 626 هـ).
نقل الأدفوى من مؤلفه "معجم الأدباء" مرة واحدة دون أن يشير إلى عنوانه قائلاً: "ذكره ياقوت" ³.

※ الرشاطى (أبو محمد عبد الله بن على اللخمي المرى ت 540 هـ).
نقل عنه الأدفوى مرة واحدة من مؤلفه دون أن يذكر اسمه بصدد حديثه عن تسمية بلده أدفو قائلاً: "نقل الرشاطى عن اليعقوبى" ⁴.

※ الوخشى (أبو على الحسن بن على بن محمد بن أحمد ت 471 هـ).
نقل عنه الأدفوى مرة واحدة من مؤلفه دون أن يذكر اسمه بصدد تسمية بلده أدفو قائلاً: "قال الوخشى" ⁵.

أما عن مكانة "الطالع السعيد" فى كتابات اللاحقين فحدث ولا حرج فقد صار من المصادر التى نهل منها المؤرخين اللاحقين للأدفوى شاهدين له بالفضل والبراعة الأدبية، أمثال: الصفدى الذى نقل منه ما ينيف على السبعين مرة فى مؤلفه "الوافى بالوفيات" ⁶

1 الطالع السعيد، ص 553.

2 الطالع السعيد، ص 554.

3 الطالع السعيد، ص 555.

4 الطالع السعيد، ص 555.

5 الطالع السعيد، ص 555.

6 انظر: ج1، صفحات 194، 201، 202، 203، 218؛ ج2، صفحات 21، 96، 97، 99، 106؛ ج3، صفحات 18، 23، 116، 178، 198؛ ج4، صفحات 24، 68، 87، 146، 214؛ ج5، ص 126؛ ج6، ص 78؛ ج7، ص 36؛ ج8، ص 215؛ ج9، ص 51؛ ج11، ص 246؛ ج12، ص 173؛ ج13، ص 16؛ ج14، ص 92؛ ج15، ص 266؛ ج16، ص 97 على سبيل المثال لا الحصر.

مكرراً إياها في مختصره " أعيان العصر " ¹ كما نقل منه في مؤلفه " نكت الهميان " ²، وابن شاکر الکتبی ³ وابن قاضی شہبہ ⁴ والمقریزی في مؤلفيه " السلوك " ⁵ و " الخطط " ⁶ والمقری ⁷ وابن تغری بردی في مؤلفيه " النجوم الزاهرة " ⁸ و " المنهل الصافي " ⁹، وابن رجب ¹⁰ وابن حجر العسقلانی في مؤلفاته " الدرر الكامنة " ¹¹ و " رفع الإصر " ¹² و " إنباء الغمر " ¹³ والسخاوی في مؤلفيه " التحفة اللطيفة " ¹⁴ و " المنهل العذب " ¹⁵ والزبيدي ¹⁶ والدمیری ¹⁷، والحنبلی ¹⁸ وغيرهم ممن اطلعوا عليه ونقلوا منه بالإشارة ودون الإشارة.

- 1 انظر: ج1، ص 363؛ ج2، صفحات 182، 197، 253، 264؛ ج3، صفحات 12، 52، 56، 123، 131، 171؛ ج4، صفحات 46، 244، 269، 270، 313، 376؛ ج5، صفحات 61، 71، 132، 164، 185، 197، 203 على سبيل المثال.
- 2 نكت الهميان في نكت العميان، طبعه: أحمد زكي باشا، القاهرة 1911، ص 169، 170.
- 3 فوات الوفيات والذيل عليها، مج2، تحقيق: احسان عباس، بيروت 1973، ص 396؛ مج4، ص 220، 231.
- 4 طبقات الشافعية، ج2، صفحات 83، 121، 150، 164، 195، 236؛ ج3، صفحات 52، 61، 69.
- 5 انظر: السلوك، ج2ق1، ص 479.
- 6 الخطط المقرزية، ج1، ص 305-306، 320، 328، 329، 381، 382.
- 7 نفح الطيب، ج2، ص 542.
- 8 النجوم الزاهرة، ج9، ص 136.
- 9 المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج1، ج6، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة 1985، صفحات 120، 184، 340، 398، 399؛ ج2، تحقيق: محمد محمد أمين، مراجعة: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة 1984، ص 165، 376؛ ج5، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة 1988، ص 139؛ ج6، ص 254.
- 10 ذيل طبقات الخنابلة، ج1، تحقيق: محمد حامد الفقى، القاهرة 1952، ص 293.
- 11 الدرر الكامنة، ج1، ص 55، 262، 291؛ ج3، ص 192؛ ج5، ص 328.
- 12 رفع الإصر عن قضاة مصر، ق2، تحقيق: حامد عبد المجيد، مراجعة: إبراهيم الإيبارى، القاهرة 1961، ص 340.
- 13 إنباء الغمر بأنباء العمر، ج1، تحقيق: حسن حبشى، القاهرة 1998، ص 118.
- 14 التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، بيروت 1993، ص 115.
- 15 المنهل العذب الروى في ترجمة قطب الأولياء النوى، بيروت 1978م، ص 9، 10، 14.
- 16 تاج العروس من جواهر القاموس، ج9، تحقيق: عبد العليم الطهاوى، مراجعة عبد الستار أحمد فراج، الكويت 1980، ص 525.
- 17 حياة الحيوان الكبرى، ج1، القاهرة 1306هـ، ص 469؛ ج2، ص 193.
- 18 شذرات الذهب، ج3، صفحات 132، 151، 156، 253.

المنهجية:

ذكر الأدقوى بمقدمة كتابه أجناس الكتابة التاريخية التى اطلع عليها من مؤلفات سابقة بقوله: " منهم من رتب على السنين، ومنهم من رتب على الأسما ليكون إسناده أسمى، ثم منهم من خص بعض البلاد، ومنهم من عم كل قطر وواد " ¹، فالنظام الحولى يعنى بترتيب الوقائع والأحداث على حساب السنين والشهور والأيام، على أن يقوم بتجميع مختلف الحوادث فى كل سنة مراعيًا الربط فيما بينها بكلمة " وفيها "، فإذا ما انتهت حوادث تلك السنة انتقل إلى التى تليها مستهلًا ذلك بقوله: " ثم دخلت سنة كذا " أو " استهلّت سنة كذا " أو " دخلت هذه السنة " ²، وهناك الترتيب حسب تسلسل الأسماء على حروف المعجم، وهناك التواريخ الإقليمية والمحلية التى كانت وليدة ارتباط المؤرخ بإقليمه واعتزازه بوطنه بحيث صارت نداءً لكتابات الجغرافيين ³، وفيها يتغنى المؤرخون-كالأدقوى مثلاً- بفضائل مدنهم ومميزاتها الجغرافية وأهميتها الاقتصادية وتراجم لمشاهير أعيانها وفقهائها ومحدثيها وشعرائها وشيوخ متصوفيها - وعلى استحياء - معالم خططها وأسواقها ومساجدها وحماماتها ومكانتها فى العصور السالفة.. الخ ويبدو واضحاً أن تعاظم ظاهرة الإقليمية كان نتيجة طبيعية للتجزئة السياسية الناجمة عن سيادة النمط الإقطاعى، وتعاظم النزعات الطائفية من ناحية، وكثرة موجات الأخطار الخارجية من الشرق والغرب من ناحية أخرى ⁴، لذا لم يجد الأدقوى غضاضة قبل الشروع فى الحديث عن أعلام إقليمه أن يفرد مقدمة " تشتمل على مسافة هذا الإقليم المترجم أهله وذكر محاسنه، ويندرج فيها ما وجد به مما يعاب به ومضى واضمحل وانقضى " ⁵.

وتبعاً لذلك حدد الأدقوى منهجه فى مقدمة كتابه "الطالع السعيد" موضحاً أن التراجم الواردة بين ثناياه قاصرة على إقليم قوص والكور التابعة له " ومن ولد بها، ومن أقام بها ستين حتى دفن بها ونسب إليها من العباد، أو تأهل بها وله بها نسل، أو من له منها أصل " ⁶، مشيراً أنه خاص بالوفيات غير مكترث بذكر الأحياء منهم إلا نادراً فى حالة

1 الطالع السعيد، ص 3.

2 محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامى، مج 9، ورقة 31

3 روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح أحمد العلى، بغداد 1963، ص 150، 207، 233 - 234.

4 محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر، مج 9، ورقة 23، 24.

5 الطالع السعيد، ص 7.

6 الطالع السعيد، ص 5-6.

"قلة الأسماء في الحرف، أو من احتوى على مكارم أو حوى كمال الظرف، أو من له إحسان على وبر ساقه إلى"¹، بيد أنه على حين التزم إلى حد كبير مع تراجمه بذكر أسمائهم ونسبهم وكناهم وتاريخ ميلادهم وسنى وفاتهم على حد سواء باليوم والشهر ومتوسط عمر كل منهم على وجه التقريب وكيفية تحصيل علومهم دينية كانت أم دنيوية، وكيفية تدرجهم في وظائفهم إن كانوا من أرباب السيوف أو الأقلام، والمصدر الذى اعتمد عليه في التعريف بتراجمه سواء كان معانية أو سماعاً أو مشافهة أو نقلاً من مؤلفات سابقة أو معاصرة له، إلا أنه وجد هناك تفاوتاً ملحوظاً في عرض التراجم في جوانب أخرى إسهاباً واختصاراً تبعاً لفضائلهم ومكانتهم، وتبعاً لمنجزاتهم على الصعيد الثقافى، فتارة يسرف في الحديث عن بعض الشعراء أو الأدباء أو الفقهاء²، سارداً من أخبارهم وأشعارهم قدراً كبيراً، وتارة أخرى نجد بعض التراجم في أسطر معدودة³.

وعلى حين صار الأدفوى على نهج الأولين من المؤرخين في جعل تراجمه مرتبة على حروف المعجم، مبتدئاً بمن اسمه "إبراهيم" باعتباره "الأب الرحيم، واسم النبى الخليل، والرسول الجليل"⁴، إلا أنه أخل بمنهجه في ذلك فانحرف كثيراً من حيث ترتيب الأعلام أو آبائهم فمثلاً: قدم "خلف بن عبد الرحمن" على "خديجة بنت على"، و"عبد الله بن نصر" على "عبد البارى"، و"عبد الحليم بن يوسف" على "عبد الحق بن الحسن"، و"عبيد الله بن عبد الله" على "عبد المنعم بن أحمد"، كما قدم "عثمان" فى اثنتى عشرة ترجمة على "عتيق"⁵، وسقط أيضاً فى خطأ ترتيب الآباء حيث قدم "إبراهيم بن عمر" على "إبراهيم بن على"، و"أحمد بن أبى الكرم" على "أحمد بن أبى عثمان"⁶ وغيرهم كثير.

والثابت أن كل تراجم الأدفوى فى الطالع السعيد رجال عدا أربع سيدات، ويبدو أنه كان يقر بالتقدير والعرفان للشيخ الحافظ أبى الفتح القشيرى، حيث أن كلهن يمتن بصلة قرابة له، فترجم لأخته وابنته واثنتان من بنات أخيه⁷.

1 الطالع السعيد، ص 6.

2 الطالع السعيد، ص 448.

3 الطالع السعيد، ص 95، 455.

4 الطالع السعيد، ص 6.

5 الطالع السعيد، صفحات: 240، 282-283، 284، 345، 347-359.

6 الطالع السعيد، ص 57، 73-75.

7 الطالع السعيد، صفحات 175، 240، 246، 648.

وإيماناً منه بعدم الكمال لأى عمل علمى بل هو اجتهاد من المؤرخ للوصول إلى الحقيقة، أقر الأدفوى فى خاتمة مؤلفه بطلب المغفرة من الله " من سهو وقع، وهوى متبع، أو من إفراط فى مدح أو إسهاب، أو إيغال فى وصف أو إطنان، أو خطأ فى أسماء أو أنساب، والتصنيف قلما يسلم من إساءة أو إحسان، والخطأ والنسيان " ¹.

هذا وتمتع الأدفوى بملكة النقد والتحليل والاستنتاج والمقارنة بين روايات المؤرخين وترجيح أحد الآراء عن نظيره وغيرها من الصفات التى غدت النزعة النقدية لديه بقدر كبير وجعلت تفكيره منظماً، ونقده ليناً مصحوباً بالتماس الأعذار عكس أخلافه من المؤرخين الذين كانوا " شديدي الخصومة والتحاسد والمداخنة " ²، فحينما يتحدث عن التشكيل اللغوى لمدينة أسوان يذكر أن السمعاني ضبطها بالفتح، فى حين جعلها المنذرى بالضم، مرجحاً فى النهاية رأى أهلها المؤيد للمنذرى ³، كما أيد رأى أهالى بلدته أدفو فى ضبطها (بالدال المهملة وليس بالتاء كما ذكر بعض المؤرخين) على اعتبار أنه وقف على ذلك " فى مكاتيبهم الحديثة والقديمة جداً والمتوسطة " وكل ما عدا ذلك لا يعتد به مؤكداً أن " أهل البلاد أعرف ببلادهم من البعيد الدار " ⁴، كما أنه فى بعض الحالات لم ير غضاضة فى نقد ذاته شخصياً فبصدد إحدى تراجمه ذكر " أن مولده سنة خمسين وستائة أو إحدى، والشك منى " ⁵.

كذا لم يجد حرجاً فى نقد روايات المؤرخ عبد الكريم ابن عبد النور مبيناً أن فى كلامه " وهم " ⁶، ملتصقاً له العذر فى موضع آخر أن يكون قد اطلع على هذا الكلام فى مصنف آخر ⁷، أو ذاكراً دليل ترجيحه لأحد الروايات فبصدد إحدى الروايات فى تاريخ وفاة أحد تراجمه ذكر المنفلوطى رأيه وكذا المنذرى، ومال الأدفوى إلى ترجيح رأى الأول مدعماً إياه بالنقش الخاص بشاهد قبره ⁸.

1 الطالع السعيد، ص 744.

2 محمد مصطفى زيادة، المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى، القاهرة 1954، ص 84.

3 الطالع السعيد، ص 48.

4 الطالع السعيد، ص 555.

5 الطالع السعيد، ص 549.

6 الطالع السعيد، ص 93.

7 الطالع السعيد، ص 221.

8 الطالع السعيد، ص 302.

أضف إلى ما سبق وقوفه على دواوين فحول شعراء عصره وسابقه منصباً من نفسه قاضياً للحكم عليها بتعليقاته الأدبية، فأحدهم " له ديوان شعر يدل على فضله ويشهد بنبهه " ¹، وكثير منهم يدخل شعرهم في حكم " المقبول " ²، وبعضهم استنشد شعراً فلم يحفظ منه سوى أبيات معدودة ³، وآخرين استنشدوه شعراً بيد أنه على حد أقواله: " لم يعلق بخاطري منه شيء " و " لم يعلق بذهني منه شيء " ⁴.

ونظراً لغلبة الطابع الأدبي والشعري على كتاب " الطالع السعيد " فقد ندرت فيه الاقتباسات القرآنية فلم يلجأ إليها الأدفوى إلا في أضيق الحدود، حيث لم يستعن بها سوى ما ينيف على العشر مرات ⁵، وجاءت كلها بمعرض ترجمته لأعلامه ولم يستخدمها كغيره من المؤرخين في بيان محاسن إقليمه وتفضيله على غيره.

أما اقتباسه من الأحاديث النبوية فكان أحسن حظاً نظراً لميله إلى طريقة الإسناد أحياناً، وروايته كثير من الأحاديث بتلك الطريقة بذكر سلسلة روايتها دون أن ينقص منها شيئاً، مغفلاً إياها في مواضع أخرى، بحيث لم يجد عن منهجه الذي حدده في مقدمة مؤلفه بقوله " لم أشحنه بالأسانيد فقد أنسب إلى غرض مذموم، ولا أخليه منها فأوصف بأني محروم، بل أكسو بعض التراجم منها ذلك الوشى المرقوم " ⁶.

أما عن كرامات ومكاشفات الشيوخ والأولياء في " الطالع السعيد " فقد سقط الأدفوى أسيراً لها باعتبار أن " كرامات الأولياء حق عند أهل الحق " ⁷، لكونهم " أهل المناقب والمآثر، والمحامد والمفاخر، أكابر السادات وسادات الأكابر، فبهم عرفنا النفع والضير، وميزنا بين الشر والخير " ⁸، وقد نالت تلك الظاهرة قسطاً كبيراً من مؤلفه، ويكفي أن ما يزيد على ثلاثين شخصاً من تراجمه ذكر عنهم مكاشفات وكرامات، عدها

1 الطالع السعيد، ص 46.

2 الطالع السعيد، ص 53، 77.

3 الطالع السعيد، ص 334.

4 الطالع السعيد، ص 53، 66، 419.

5 الطالع السعيد، صفحات 325، 394، 423، 508، 579 على سبيل المثال.

6 الطالع السعيد، ص 6.

7 الطالع السعيد، ص 654.

8 الطالع السعيد، ص 745.

من أمارات صلاحهم، فهذا له "كرامات تضيق عنها بطون الأوراق" ¹، وثان "صاحب المكاشفات الموصوفة والمعارف المعروفة" ²، وثالث "كراماته يضعف عن وصفها اللسان، ويعجز عن وصفها البنان" ³، ورابع كراماته "مستغنية عن التعريف، تكثر عن أن يسعها تأليف، أو يقوم بها تصنيف" ⁴، وخامس "رأيت له ما لو وقع لمن يدعى الكرامة لكان من أجلها" ⁵.

هذا وأدلى الأدفوى برأيه فيها بكل صراحة مقرأ إياها من وجهة نظره باعتبار أن "المكاشفات لا يمنع من وقوع شيء منها، إلا ما كان بعيداً منها في العادة"، وأنه "لا ارتياب في حصول الكرامات لمن خصه الله بعنايته، ووقفه لطاعته" على أنه اشترط لصحتها أن ترى رأى العين كأن تجاب دعوة ما أو تحل البركة بشخص ما.. إلخ، وأخرج من نطاقها بعد الأشياء الجدلية مثل رؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا وإحياء الموتى رغم أنها توفرتا للرسول صلى الله عليه وسلم وللسيد المسيح عليه السلام ونشب حولهما خلاف بين الفقهاء والمحدثين ⁶، محذراً في نفس الوقت أنه بتداولها وانتشارها بين العامة ليس سبباً لصحتها "فإن الكذب فيها كثير، وكثير منهم جاهل بشروط صحة النقل وتحرير الأمر، وكثير منهم مغفل، يروى ما يسمعه ويحسن الظن بناقله" ⁷، وبجهلهم أسرفوا في رفع مكانة بعض الشيوخ خارج نطاق العقول فادعوا على أحدهم بعروجه إلى السماء وتلقيه من ربه الأسماء، وجعلوا يوماً محدداً في كل عام عيداً له، تتوافد الخلائق على قبره ويمتثلط الرجال بالنساء وتجتمع فيه الشباب والمردان "وهي من الأمور الفظيعة والبدع الشنيعة والشيخ بعيد عنها" ⁸. لذا نأى بنفسه عن الأمور التي تجرى على خلاف العادة ولم يسلم بها بمجرد دعواها أو الإخبار عنها.

1 الطالع السعيد، ص 385.

2 الطالع السعيد، ص 648.

3 الطالع السعيد، ص 724.

4 الطالع السعيد، ص 299.

5 الطالع السعيد، ص 261.

6 الطالع السعيد، ص 133 — 134.

7 الطالع السعيد، ص 653؛ عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، ص 137.

8 الطالع السعيد، ص 724.

وهو على الجانب الآخر لا يتوقف عن ضرب الأمثلة حول وقوع الكرامات لأكثر تراجمه، بيد أنه كان يعمل العقل والفكر في بعضها، ما لم يكن موقف التكذيب والإنكار والسخرية، فيعقب على رؤية أحد الشيوخ في مكانين في وقت واحد بأن "هذه الحكاية ذكرت لغيرابتها، وكيف يعقل أن الشخص الواحد يكون في الزمان الواحد في مكانين"¹، ويعقب في نفس المعنى في موضع آخر بأنه "لا شك في وقوع مثل ذلك عقلاً، ولا ورد من الشرع ما يمنع الوقوع، ولكن اطردت العادة المستمرة والقاعدة المستقرة بعدم وقوع ذلك"²، مقرأً بوجود بعض طوائف الصوفية المغالين من أصحاب البدع والضلالات "ثبت ما تنكره بدهاة العقول وتوجد ما تنفيه العادات التي يقضى باعتبار حكمها في شرع الرسول"³.

كما يعقب على طواف الناس حول قبر أحد الأولياء حفاة الأقدام مكشوفى الرؤوس بغية استقضاء الحوائج والتماس البركة واستشفاء المرضى بأن "له ولأمثاله من العارفين أحوال تتلقى بالقبول والتسليم"، بيد أنه شرط مشاهدة تلك العلامات وإجازة العقل والشرع لها حتى تثبت صحتها⁴.

لذا ليس بغريب أن يعكف على زيارة قبور بعض الأولياء مراراً وتكراراً أثناء رحلاته بين بلدان الصعيد، بل وأحياناً يزور القبر دون أن يدخل البلد، مشيراً إلى ذلك في مواضع كثيرة من مؤلفه، فمنهم من عكف على زيارة قبره باستمرار⁵، وذاك "زرت قبره ووجدت عنده انشراحاً"⁶، وثالث "لما مررت بأرمنت زرت قبره بظاهرها ولم أدخل البلد"⁷، ورابع "زرت مرات كثيرة ودعوت عنده بدعوات وطلبت حاجات فقضيت والحمد لله على نعمه"⁸، وخامس "قبره يزار، زرت مرات ودعوت عنده ورجوت بركته"⁹.

1 الطالع السعيد، ص 132.

2 الطالع السعيد، ص 650؛ عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، ص 137.

3 الطالع السعيد، ص 133.

4 الطالع السعيد، ص 300، 301.

5 الطالع السعيد، صفحات 156، 303، 399، 434.

6 الطالع السعيد، ص 177.

7 الطالع السعيد، ص 194.

8 الطالع السعيد، ص 387.

9 الطالع السعيد، ص 656.

أضف إلى ما سبق ميله أحياناً إلى الرؤى المنامية ودلالات الأحلام في مؤلفه، فهذا الشيخ "رأيته في المنام ولم أكن كتبه في هذا التاريخ فعنفني فكتبته" ¹.

والخلاصة: أنه من الإنصاف القول بأن كتاب الأدفوى "الطالع السعيد" يعتبر من المصادر الرئيسية الهامة خاصة لمن يعنى بدراسة تاريخ بلدان الصعيد في العصر المملوكي رغم ندرة الأحداث السياسية وظهورها في شذرات دقيقة بيد أنها على درجة كبيرة من الأهمية، إضافة إلى كونه العمود الفقري لمن يعنى بدراسة الأدب والشعر إبان تلك الفترة. يدعمه في ذلك طغيان الاستشهادات الشعرية بين ثنايا مؤلفه، وزادت أهمية الكتاب لكون مؤلفه استقى معلوماته من مصادر عينية لها أصولها معاشياً إياها، أو من خلال مؤلفات لسابقه سقط بعضها تحت طائلة الضياع والفقدان ولم يبق منها إلا ما دونه الأدفوى بين ثنايا مؤلفه.

ورغم انتهاء الأدفوى السننى إلا أنه حمل عقلاً معتدلاً فأقر بفضائل أعلام الشيعة في مؤلفه وريادتهم في معظم العلوم الدنيوية، مستنكراً عليهم ما يخص عقيدتهم من أشياء كسب بعض الصحابة مثل أبى بكر وعمر. كما تجلت عقلانيته فيما يخص ظاهرة الكرامات والمكاشفات.

أما عن منهجه فلم يخرج عن مناهج السابقين الأولين من المؤرخين، والتزم بما أقره في مقدمته رغم بعض الهنات التى وقع فيها، مضافاً على مؤلفه طابع التجديد حيث لم يأت في تراجم لأعلام الإقليم فقط، بل ضمنه مقدمه جد ثرية عن محاسنه وفضائله. لذا ليس بغريب أن يصنف الأدفوى من الفضلاء وكبار الأدباء في مصر في العصر المملوكى بشهادة أقرانه من المؤرخين المعاصرين له واللاحقين عليه.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- * ابن أبي الفضائل (مفضل بن أبي الفضائل ت 760هـ/1358م).
- تاريخ سلاطين المماليك أو النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، نشره وترجمه للفرنسية وعلق عليه Blouchet في دورية:
Patrologia Orientalis , xii , xiv , xxii , Paris 1919.
- * ابن أبيك الدواداري (أبو بكر عبد الله بن أبيك ت 764هـ/1362م).
- كنز الدرر وجامع الغرر، ج8 (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية)، تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة 1971م.
- * ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت 874هـ/1469م).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (عدة أجزاء)، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1949م.
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج1، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة 1985م؛ ج2، تحقيق: محمد محمد أمين، مراجعة: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة 1984؛ ج5، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة 1988م.
- * ابن حجر (الحافظ بن حجر العسقلاني ت 852هـ/1448م).
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (عدة أجزاء)، حيدر-آباد، الهند 1348هـ.
- رفع الإصر عن قضاة مصر، ق2، تحقيق: حامد عبد المجيد، مراجعة: إبراهيم الإبياري، القاهرة 1961م.
- إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: حسن حبشى، القاهرة 1994م.
- * ابن رافع السلامي (أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب ت 809هـ).
- الوفيات، ج2، تحقيق: عادل نويهض، بيروت 1978م.
- * ابن رجب.
- ذيل طبقات الحنابلة، ج1، تحقيق: محمد حامد الفقى، القاهرة 1952م.
- * ابن شداد (عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم ت 684هـ/1285م).
- تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيط، فسيبادن 1983م.
- * ابن عبد الظاهر (محيى الدين بن عبد الظاهر المصرى ت 692هـ/1292م).
- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: سيدة فاطمية صادق، باكستان 1956م.

- * ابن العباد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد ت 1089هـ / 1679م).
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (عدة أجزاء)، بيروت (ب.ت).
- * ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت 807هـ / 1404م).
- تاريخ ابن الفرات المعروف بـ (تاريخ الدول والملوك) ج7، تحقيق: قسطنطين زريق، بيروت 1936م.
- * ابن القوطى (أبى الفضل عبد الرازق البغدادى ت 723هـ / 1323م).
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة، تحقيق: مصطفى جواد، بغداد 1351هـ.
- * ابن قاضى شهية (أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ت 851هـ).
- طبقات الشافعية، ج3، تحقيق: عبد العليم خان، بيروت 1407هـ.
- * ابن ممانى (الوزير الأيوبى الأسعد بن ممانى ت 606هـ).
- قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، القاهرة 1943م.
- * الأدفوى (كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعى ت 748هـ / 1347م).
- الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسن، مراجعة: طه الحاجرى، القاهرة 1966م، ط2، 2001م.
- * الأسنوى (جمال الدين عبد الرحيم ت 772هـ).
- طبقات الشافعية، ج1، تحقيق: عبد الله الجبورى، بغداد 1390هـ.
- * الأنصارى (عمر بن إبراهيم الأوسى الأنصارى).
- تفريج الكروب فى تدبير الحروب، تحقيق: جورج اسكانلون، الجامعة الأمريكية بالقاهرة 1961م.
- * البغدادى (إسماعيل بن محمد بن سليم البابانى).
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (مجلدان)، استنبول 1951م
- * حاجى خليفة
- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ج1، بيروت 1992م.
- * الدميرى (كمال الدين)
- حياة الحيوان الكبرى (جزآن)، القاهرة 1306هـ.
- * الزبيدى (محمد مرتضى الحسينى ت 1205هـ / 1790م).
- تاج العروس من جواهر القاموس (عدة أجزاء)، تحقيق: عبد العليم الطهاوى، مراجعة: عبد الستار أحمد فراج، الكويت 1980م.
- * السبكى (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ت 771هـ / 1369م).
- طبقات الشافعية الكبرى (عدة أجزاء)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلوى، محمود محمد الطناحى، القاهرة 1992م.
- * السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد ت 902هـ / 1497م).
- التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة، بيروت 1993م.
- المنهل العذب الروى فى ترجمة قطب الأولياء الإمام النووى، بيروت 1978م.

- ✽ السيوطي (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ت 911هـ / 1505م).
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1998م.
- ✽ شافع بن علي (ابن عباس بن عساكر ت 730هـ / 1329م).
- حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، الرياض 1976م.
- ✽ الشوكاني (محمد بن علي ت 1250هـ / 1834م).
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج1، القاهرة 1348هـ.
- ✽ الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ت 764هـ / 1363م).
- نكت الهميان في نكت العميان، طبعه: أحمد زكي باشا، القاهرة 1911م.
- أعيان العصر وأعوان النصر (عدة أجزاء)، تحقيق: علي أبو زيد وآخرون، بيروت 1998م.
- الوافي بالوفيات ج1، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، بيروت 2000م.
- ✽ القلقشندي (شهاب الدين أحمد بن علي ت 821هـ / 1418م).
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا (عدة أجزاء)، المطبعة الأميرية بالقاهرة 1913-1918م.
- ✽ الكتبي (محمد بن شاکر بن أحمد ت 764هـ / 1363م).
- فوات الوفيات والذيل عليها (عدة أجزاء)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة 1951م.
- ✽ المقرئ (أحمد بن محمد التلمساني).
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب (عدة أجزاء)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت 1968م.
- ✽ المقرئ (تقى الدين أحمد بن علي ت 845هـ / 1442م).
- الخطط المقرئية المعروفة بـ (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، القاهرة 1326هـ.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، القاهرة 1958م.
- ✽ النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت 733هـ / 1332م).
- نهاية الأرب في فنون الأدب، ج3، تحقيق: السيد الباز العريني، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، القاهرة 1992م.
- ✽ ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ت 626هـ / 1229م).
- معجم البلدان (عدة أجزاء)، بيروت 1979م.
- ✽ اليونيني (قطب الدين أبو الفتح بن محمد أحمد ت 726هـ / 1325م).
- ذيل مرآة الزمان (عدة أجزاء)، حيدر آباد، الهند 1954-1955، 1960-1961م.

تانياً: المراجع العربية:

- إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، القاهرة 1314هـ.
- الزركلي، الأعلام "قاموس لأشهر تراجم النساء والرجال"، بيروت 1979م.
- روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح أحمد العلي، بغداد 1963.
- شمس الدين الغزى، ديوان الإسلام، بيروت 1990م.

- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، ط2، القاهرة 1999م.
- على مبارك، الخطط التوفيقية، القاهرة (د.ت).
- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، بيروت (د.ت).
- محمد مصطفى زيادة، المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادى، القاهرة 1954م.
- محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامى، مج9، (تحت الطبع).

تالقا: الرائل العلمفة:

* سند أأمد عبد الفتاح، البرفء فى عصر دولة سلاطفن دولة الممالفك البأرففة، رسالة ماجسفرفر فرر منشورة بأأاب عفن شمس 2000م.

* * *